سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (41) | 1 / 7 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

الغلاف تصميم: غالية سراقبي
الصورة: إحدى مظاهرات قرية سرمدا في محافظة إدلب

نازحو حمص مشردون داخل وطنهم

الجزيرة نت:

لم تستطع الأرملة أم خالد أن تواري دموعها وهي تتحدث عن بيتها الذي تركته في حمص وسط سوريا، هربا من جحيم القصف الذي تنفذه القوات النظامية، ضمن آلاف العائلات التي قصد بعضها محافظات بالداخل، بينما قصدت أخرى ما وراء الحدود انتظارا للحظة العودة.

تقول أم خالد للجزيرة نت "وحده الله يعلم أي مشقة تكبدتها خلال السنوات الماضية لإيجاد سقف يؤويني وأولادي وكيف أثثته بأغراض بسيطة".

غادرت أم خالد حي البياضة مع أسرتها في ليلة اشتد فيها التوتر دون أن يحملوا معهم أية أمتعة أو أوراق ثبوتية، خرجوا بالثياب التي كانوا يرتدونها، وقالت إن الثوار أوصلوهم إلى بداية طريق الشام، ومن هناك بدأت رحلة التنقل من بيت لآخر، وبعد التنقل من مكان إلى آخر تعيش الآن مع ثلاث أسر من أقاربها في شقة صغيرة بريف دمشق تبرع بها صاحبها لإيوائهم.

عندما التقت بها الجزيرة نت كانت قد عادت للتو بقدر طعام قامت بطهوه في منزل بآخر بالحي بسبب نفاد غاز الطبخ لديها، قالت إنها سجلت اسمها في قوائم البلدية بانتظار وصول دورها كي تتمكن من شراء أسطوانة غاز.

ولا تزال أم خالد تأمل أن تتمكن من العودة إلى هناك وأن تجد سبيلا إلى ترميم بيتها وتمني نفسها بأن تصوم شهر رمضان في حمص شأنها في ذلك شأن بقية العائلات التي تعيش على أمل الرجوع قبل رمضان.

مشقة النزوح زادت من المشاكل الصحية التي تعاني منها تلك السيدة وأقاربها، وبتكافل سكان البلدة أجريت لها عملية جراحية، في حين أن الطبيب وصف ما تعاني منه أختها بالكآبة الشديدة، الأمر الذي يفسر عدم قدرتها على النوم إضافة إلى معاناتها من أمراض في القلب.

فقدان المنازل

إحدى الناشطات في مجال الإغاثة قالت للجزيرة نت إن "الأنباء التي تصل النازحين عن تدمير منازلهم أو إحراقها تجعلهم يدخلون في مرحلة ثانية من الصدمة".

وأشارت إلى أن المعونات والتبرعات في تناقص، فهناك حاجة للحصول على موارد ثابتة وتلافي فتور المتبرعين، وخاصة بعد تجدد الحاجة إلى مستلزمات أخرى مع دخول فصل الصيف، فأغطية الصوف التي وزعت في الشتاء لم يعد ممكنا استخدامها في حر الصيف، بحسب الناشطة التي قالت إنهم يعملون على تأمين أغطية صيفية وبرادات من أجل حفظ الأطعمة، ناهيك عن المشاكل الصحية والاحتياجات الطبية والدوائية، مع العلم أن معظم النازحين أطفال وكبار سن.

وأشارت إلى أن تكافل الأهالي هو المصدر الأول للمساعدات إلى جانب ما تقدمه بعض الجمعيات الخيرية أحيانا، وذكرت أن إحدى تلك الجمعيات كانت تسأل ما إذا كانت العائلة المحتاجة ذات توجهات معارضة للنظام قبل أن تقرر تقديم العون لها بحجة تجنب المشاكل مع الدولة.

أبو سليمان أحد سكان ريف دمشق استقبلت بلدته أكثر من ألف عائلة قال إن جميع الأهالي بلا استثناء ساهموا في التبرع، كل حسب قدرته، وكثير من المغتربين فتحوا أبواب بيوتهم لتلك الأسر، حتى ذوو الدخول الضعيفة شاركوا في التبرع.

فرص عمل

عدد من العائلات النازحة رغم صعوبة ظروفها تكد من أجل كسب قوت يومها بعرقها، كما هو حال معطي الذي يبيع الخضروات والفواكه أمام باب البيت الذي يعيش فيه، في حين أن علاء وزوجته وأولاده بدؤوا العمل في معمل صغير لصناعة الألبان.

ويرى ناشطون أن توفير عمل يدر على هؤلاء بعض المال أكثر فعالية من التركيز على تقديم المعونات فقط، ويقولون إنهم يعتمدون على علاقاتهم الشخصية للبحث عن عمل للشباب القادرين عليه رغم عدم سهولة ذلك في ظل الأوضاع المتوترة.

الجيش الحر بحمص الإعلامي خالد إبراهيم

انضم الناشط الإعلامي خالد إبراهيم البكر السبت الماضي إلى قائمة الشهداء الذين بذلوا أرواحهم في سبيل نقل الأحداث بالمناطق المتوترة، حيث تخصص في تصوير المظاهرات والاشتباكات بمدينة حمص التي لا تزال تشهد عمليات عسكرية واسعة منذ أطلق عليها الكثير من الناشطين لقب عاصمة الثورة السورية.

لم يتمكن البكر (30 عاما) من إتمام دراسته بسبب إعاقة في عموده الفقري، فاحترف صيانة أجهزة الكومبيوتر في محله الخاص بحي بابا عمرو، وشارك في أولى المظاهرات التي انطلقت من مسجد خالد بن الوليد بحمص منذ بدء الثورة.

مارس البكر نشاطه في التنسيق للمظاهرات، وتجهيز معدات الإذاعة والإضاءة لمراكز الاعتصام، كما عمل على تدريب المنشدين الذين صدحت أصواتهم في الهتافات التي أصبحت جزءا من الثقافة الشعبية للمدينة الثائرة.

وعندما انتقل ثقل المظاهرات إلى حي بابا عمرو كان البكر من أهم منسقيها، حتى أصبح على رأس المطلوبين للأجهزة الأمنية، مما دفع بعناصر الأمن لاقتحام محله وتكسير ونهب محتوياته.

تخصص البكر في تصوير المظاهرات بحي بابا عمرو، وقام بالتنسيق مع زملاء آخرين في حي الخالدية لنقل صور مباشرة كل جمعة من بابا عمرو، ثم أسس مكتبا إعلاميا مستقلا في الحي لنقل أخباره إلى وسائل الإعلام، وجعل له صفحة على موقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك) تحت مسمى شبكة أخبار الثورة في بابا عمرو.

استمر عمل الناشط الشاب خلال القصف العنيف الذي تعرض له الحي، ويعزو له زملاؤه الفضل في تسجيل أكثر من 300 شريط فيديو، معظمها من داخل المستشفى الميداني الذي تولى إسعاف الجرحى.

التصوير العسكري

وعندما انتقل القصف إلى مدينة القصير انتقل إليها لتوثيق الانتهاكات التي ارتكبتها القوات النظامية، ثم أصبح المصور الخاص بكتائب الفاروق التابعة للجيش الحر، وتمكن من تصوير الكثير من عملياتها العسكرية.

وفي يوم السبت الماضي خرج البكر مع عناصر الكتيبة لمهاجمة حاجز البلدية الذي

يقول الثوار إنه معقل للقوات النظامية التي تقصف الأحياء السكنية المحيطة، ولم يستجب البكر لنصيحة القائد بالاحتراس فأصر على الاقتراب من خط المواجهة، فسقطت بالقرب منه قذيفة هاون وتودي بحياته.

ويقول أحد عناصر الكتيبة إن مقتل البكر في بداية المعركة كان له الفضل في تشجيع زملائه على القتال حتى استكمال السيطرة على الحاجز.

وقد رثاه العديد من رفاقه ومن بينهم عبد الباسط الساروت والملازم أول عبد الرزاق طلاس والدكتور محمد المحمد، وذكروا أن البكر كان معتادا على ارتداء ثياب زملائه الذين قتلوا تحت القصف في حمص تيمنا بهم، حتى إنه قال عندما ارتدى ثياب صديقه محمد الشيخ "لعلي ألقاه".

المعارضة السورية تؤكد رفض أي حل لا يضع تنحي الأسد بنداً أوليا

قبل أيام معدودة من انعقاد ثلاثة مؤتمرات حول الأزمة السورية، الأول الاجتماع الوزاري في جنيف والثاني مؤتمر المعارضة في القاهرة والثالث مؤتمر أصدقاء سوريا في فرنسا، ينشط رئيس المجلس الوطني السوري عبد الباسط سيدا وعدد من أعضاء المكتب التنفيذي على خط الحراك العربي والدولي بهدف استباق ما قد يعلن في مؤتمر جنيف والتأكيد على رفض أي طرح أو حل لا يكون فيها تنحي الأسد بنداً أوليا. مع العلم أن صحيفة «الإندبندنت» البريطانية أشارت إلى أن «الحكومات الغربية قد تبقي الأسد في السلطة لمدة عامين في محاولة لإيجاد بديل لإمدادات النفط إلى القارة الأوروبية والتي تمر عبر سوريا في الوقت الحالي»، لافتة إلى أن «الأميركيين والروس والأوروبيين يعملون على إعداد هذه الصفقة مقابل بعض التنازلات لإيران والسعودية في كل من لبنان والعراق».

وأوضح التقرير أن «الغرب مستعد لوضع المجازر التي تجري في سوريا وانتهاكات حقوق الإنسان على أراضيها مقابل رؤية (الصورة الكبرى) وهي كالعادة النفط والغاز»، وأضافت أن «الدول الغربية ستتحمل الأسد في الوقت الراهن حتى نهاية الأزمة عوضا عن المطالبة بأن رحيله هو بداية النهاية».

وهذا ما لفت إليه سمير النشار عضو المكتب التنفيذي في المجلس الوطني، الذي رافق سيدا في زيارته الأخيرة إلى العراق قبل أن ينتقل إلى فرنسا للقاء وزير خارجيتها، قائلا لـ«الشرق الأوسط»: يبدو أن هناك تحركات روسية - إيرانية لإيجاد تسوية إقليمية دولية من خلال طرح حلول وسط حفاظ على مصالحهما والإبقاء على أركان النظام السوري وبالتالي تأجيل التفاوض حول مصير الأسد إلى وقت لاحق أي بعد تشكيل الحكومة، مضيفا «لذا نخشى لأسباب عدة، أن يخرج مؤتمر جنيف بتوصيات تصب في خانة هذه الاقتراحات بهدف الضغط علينا وعلى مقررات مؤتمر القاهرة في بداية يوليو (تموز) المقبل، وتحركاتنا اليوم هي بهدف الإعلان عن مواقف متقدمة لقطع الطريق أمام أي محاولات كهذه».

وأكد النشار «أن القضية الأساسية التي يعمل عليها المجلس في هذه الفترة ولا سيما قبل انعقاد مؤتمر جنيف، هي التأكيد أن الحد الأدنى الذي نقبل به لحل الأزمة السورية هو تنحي الرئيس السوري بشار الأسد ورفض أي اقتراحات أو مبادرات قد تعمل كل من روسيا وإيران عليها في محاولة منهما لخلط الأوراق وإحراج المعارضة، على غرار ما أعلن حول تشكيل حكومة انتقالية تجمع المعارضة وشخصيات من النظام»، وعن ردود فعل الدول التي يلتقي بها أعضاء المكتب التنفيذي تجاه قرار كهذا، قال النشار «لا نطلب مواقف هذه الدول، بل ما نقوم به هو شرح موقفنا وأولويات المعارضة والشعب السوري الذي لن يقبل بدوره بأي عملية سياسية لا يكون فيها تنحي الأسد بنداً أولا، تاركين لكل دولة اتخاذ القرار الذي تراه مناسبا».

وفي حين تخوف النشار من احتمال قبول هيئة التنسيق الوطنية بطرح المبعوث الدولي كوفي أنان تشكيل حكومة انتقالية، اعتبر رئيس هيئة التنسيق الوطنية، أن القبول بخطة أنان يعني تطبيق كامل بنودها سلة متكاملة، وقال لـ«الشرق الأوسط»: «بالتالي القول بتشكيل حكومة انتقالية يجب أن يكون بعد تطبيق بنود خطة أنان، والأهم تسليم السلطة إلى نائبه».

من جهته، حذر تيار التغيير الوطني السوري مجموعة الاتصال الدولية الخاصة بسوريا من مغبة طرح أي حلول جديدة لوقف حرب الإبادة التي يشنها النظام السوري على الشعب لا تتضمن تنحي بشار الأسد وخاصة المساعي الرامية حاليا لتشكيل حكومة وحدة يدفع المبعوث الأممي والعربي كوفي أنان باتجاهها.

وأكد تيار التغيير في بيان له أنه «لا توجد جهة وطنية سورية شريفة يمكن أن تقبل بمثل هذا الحل، فضلا عن عدم وجود جهة مخولة من الشعب السوري لإتمام صفقة تمثل بحد ذاتها اعتداء صارخا جديدا على ثورة الشعب السوري».

وكان المجلس الوطني السوري قد أعلن في بيان له أن وفدا من أعضائه برئاسة عبد الباسط سيدا التقى في العاصمة الفرنسية باريس، وزير الخارجية الفرنسي لوران فابيوس، وذلك بهدف الطلب من فرنسا التحرك على كل الصعد وخاصة الأوروبي والدولي بصفتها عضوا دائم العضوية في مجلس الأمن الدولي، لوقف «المجازر التي يرتكبها النظام السوري بشكل يومي بحق المدنيين العزل في سوريا، وعرض موقف الشعب السوري من التحركات السياسية الدولية وخاصة لقاء جنيف ومقترحات كوفي أنان، والاجتماع القادم لمجموعة أصدقاء الشعب السوري في باريس».

وكان وفد من المجلس الوطني السوري برئاسة سيدا قد زار العراق، وأجرى لقاءات مع رئيس إقليم كردستان العراق مسعود بارزاني وقادة الإقليم، أسفرت عن توافق على دعم تطلع الشعب السوري للخلاص من حكم الطغيان والاستبداد، وتقديم الرعاية للاجئين السوريين في شمال العراق، على أن ينتقل رئيس المجلس وأعضاء المكتب التنفيذي إلى القاهرة غداً الأحد، للقاء المسؤولين المصريين، والأمانة العامة لجامعة الدول العربية، والمشاركة في اللقاءات المخصصة لتوحيد رؤى جميع قوى المعارضة السورية تجاه دعم وانتصار الثورة السورية ومستقبل سوريا «ما بعد سقوط النظام الأسدي».

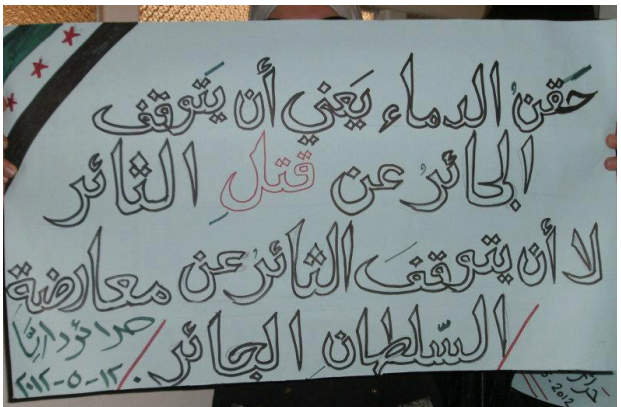

أوجـــاع وطـــن

شاهد على المجزرة

شاهد عيان على مجزرة عائلة طعمة في مدينة دوما بتاريخ ٢٠١٢\٦\٢٨

بـدأ القصف الساعة الخامسة والنصف فجراً.. نزلنا نساء ورجالاً إلى الملاجئ.. في الساعة السادسة والنصف صعدت إلى المنزل قليلا فرأيت ست رصاصات في المنزل وكان الزجاج متكسرا مع عفش المنزل.. و رأيت الجيش بالخوذ واللباس النظامي عند جامع التوحيد يصرخون على الأهالي بالنزول إلى الملاجئ ولم يكن في منطقتنا جيش حر نظرا لموقعها جنب الكورنيش الذي يسيطر عليه النظام.. فنزلت إلى الملجأ وبقينا للساعة العاشرة صباحا..

في الساعة العاشرة صعدت أنا وجاري إلى حديقة بيتهم الأرضي حيث كنا نسمع الأمن ولا يرونا... سمعنا توسل وبكاء شخص ثم سمعنا عنصر الجيش ينادي اقتلوه لهالمسلح... وتم إطلاق رصاصتين.. قلنا لأنفسنا ربما أنهم أمسكو مسلحاً وأعدموه أو أنهم أعدمو جندياً كان ينوي الانشقاق.. ثم نادى الضابط يا حيدر اقتله لهالمسلح التاني وسمعنا التوسل والبكاء قال الجندي (حيدر): عد للعشرة..

ويسمع أصوات العد للعشرة بصوت مرتفع.. وعند رقم تسعة تخرج رصاصتان ويخمد الصوت...

هذان الشخصان أعدما في الساحة ثم أمر الضابط جنوده بالصعود إلى بناء طعمة.. فصعدوا الطابق الأول وسمعنا الصراخ والعويل وأوامر الضابط.. يا حيدر.. ومن ثم عد للعشرة والتوسلات وثم الإعدام... وهكذا كانوا يصعدون الطابق تلو الطابق ويبقون عند كل طابق حوالي ثلاثة أرباع الساعة.. وكان عويل النساء يتوقف بعد أن يصعدوا إلى الطابق ويتعالى الصراخ بعد إعدام أول الرجال حيث أنهم كانوا يهددونهم بقتل الرجال لو صرخوا..

في أحد المنازل قتلوا كل أفراد العائلة في الحمام حيث أنهم كانوا مكومين فوق بعضهم...

ظل الأمر هكذا من العاشرة صباحاً حتى الثانية ظهراً لم أعد أتمالك نفسي وكنت أغرق بالبكاء مع كل توسل لشهيد.. نزلت إلى الملجأ وأمرت جاري ألا يتفوه بكلمة عما سمعه كيلا يجن الناس فيقتلنا الأمن فورا، إذ لم يكن أمامنا من ملجأ فقد كنا محاصرين من كل الجهات..

في الساعة الرابعة طرق الأمن باب البناء بعنف فأمرت أحد الجيران بفتح الباب على الفور فدخلوا وأمروا الرجال بالصعود إلى المدخل والجندي يصرخ اخرجوا يا مسلحين يا كلاب وهو موجه سلاحه علينا...

أنا كنت أعلم ما يعنيه هذا النداء (مسلحين) وجيراني لم يكونوا يعلمون... رفعت يدي فوق راسي على الفور وركضت نحو العسكري وأنا أصرخ... أنا مدني أنا مدني... ركضت على الموت فقد كنت متيقنا من حتفي وقلت عسى أن تحرك في نفوسهم شيئاً كلمة مدني لتذكرهم أنهم عسكريون مهمتهم الحفاظ على أهلهم المدنيين..

صرخ علي العسكري ابتعد عني.. فتراجعت وأنا أجهش بالبكاء وقام بركلي وضربي وشتمي بكل أنواع الشتائم ثم أمر جميع الرجال بالخروج والاصطفاف على حائط البناء أدرنا ظهرنا ورفعنا أيدينا..

ثم أمر الضابط: (يا حيدر لقم)...

هنا بدأت بالتشهد وصرت أفكر في زوجتي ماذا سيفعلون بها بعد قتلي ومرت في رأسي كل ذكريات الحياة القبيحة والجميلة... وأحد الرجال تبول على نفسه وآخر لم يعد يستطيع الوقوف على قدميه فخر على الأرض.. صاح به الضابط ما بك ونهره

هنا سمعنا احد الجنود يصرخ سيدي سيدي هدول مدنية معهم نسوان وحدث بعض اللغط...

ثم أمرونا بالاستدارة وهنا اقترب علي جندي والدمع في عينيه و أسر لي.. لن يقتلوكم..

ثم أمرنا بالدخول إلى البناء وأمرني بالصعود أمامه وقام بتفتيش المنازل واحداً واحداً.. وكيل الشتائم والضرب لا يتوقف.

من بين ما قالوه لنا لماذا لازلتم هنا ألا تعرفون أن العصابات سترتكب مجزرة إي أنهم أتوا عن سبق الترصد لارتكاب المجازر.

أمرونا بعدم الخروج من الملجأ وأن نغادر المدينة في الصباح لأن العصابات قد تعود في الصباح.

بقينا للتاسعة مساء في الملجأ ثم صعدت وبدأت بالاتصال بكل من أعرف.. لحد الآن لم يكن يعرف بأمر المجزرة سوى أنا وجاري، ثم جاء الجيش الحر وقام بإخلاء للشهداء ومن ثم قاموا بإخلاء أهالي للمنطقة كل هذا والقصف لا يتوقف..

اثنان وعشرون شهيدا في بناء واحد من بيت طعمة وعشرة شهداء من بيت سليك في بناء آخر وهناك حوالي جامع التوحيد عدة أبنية لم يدخل عليها احد إلى الآن ولا نعرف من قتل بها... وعلمنا أن الأمن أتى اليوم أيضاً في الصباح وقام بإخلاء جثث واقتحامات ولكن معظم سكان الحي كانوا قد نزحوا

الجنود الذين ارتكبوا المجزرة يرتدون سترا مموهة ومكتوب عليها الحرس الجمهوري وأعمارهم جميعا حوالي 18 ويحملون سكاكين على ظهورهم ووراءهم أناس مدنيون يرتدون أحذية رياضية لم يتكلموا بشيء أبداً ربما أن مهمتهم هي إعدام من يخالف الأوامر.

علماً أن هناك ثلاث أشخاص قد نجوا من أبناء طعمة بجروح سطحيه قد دخلوا بحالة من الصدمة النفسية لا يتكلمون ولا يسمعون.

هكذا نقتل...

زينة صواف | فيس بوك

عدسة شاب حمصي: ترسم خارطة حمص بكاميرا أبنائها

صفحة فيسبوك توثق دمار المدينة وتحافظ على الذاكرة

جفرا بهاء | العربية نت

"عدسة شاب حمصي" ليست ككل الصفحات على موقع التواصل الاجتماعي "الفيسبوك"، فالصفحة توثق حمص وتصور الخراب، وترسم خارطة حمص الجديدة.

تدخل إلى حمص فيستوقفك الخراب، تستوقفك حياة تنقصها الحياة، ويظهر الموت متلاعباً بها، للدرجة التي أصبح من الصعب على ابن حمص أن يذهب من حي إلى آخر والعودة دون أن يشعر أنه ضل طريقه، إذ إن ملامح المدينة اختلفت ودمرت، وبات الحمصي المقيم خارج سوريا أو حتى خارج حمص لا يستطيع أن يعرف إن كان منزله أو حارته أو حيه لا يزال واقفاً أم أنه دمر وساوى الأرض.

وكما أن الحمصي واجه عنف النظام السوري بالنكتة والسخرية، وقض مضجعهم بابتكار كل الوسائل والشعارات والطرق لإثبات أنه لا يزال موجودا، وأنه مصر على الثورة، خرج من بين هؤلاء الشباب من قرر توثيق "حموصة" كما يسميها أولادها.

"عدسة شاب حمصي" تصور الأحياء، وتضع العناوين بدقة إلى درجة تجعل البعض يطلب تصوير منطقة بذاتها لمعرفة ما إذا كان بيتهم أو محلهم وربما حارتهم كلها على قيد الحياة.

حي القصور

علقت Dania Abed، على صورة لحي القصور - مقابل مغسلة العابد: مغسلة بابا، لتعتصر قلوب الكثيرين عليها وليحاولوا عن طريق التعليقات التخفيف عنها.

ولنفس الصورة وإثباتاً من الحماصنة أنهم يسرقون ابتسامتهم في كل الأوقات، كتب Bashar Sawah لنفس الصورة: "مسكين صاحب السيارة جابها للغسيل... قامت انغسلت عالخالص".

باب الدريب

صورت "عدسة شاب حمصي" حي باب الدريب، لتكتشف Rose Moon أن "هذا ما تبقى يا حارتي لا تدمعي حبيبتي فغدا سأبنيكي وألملم كل دمعاتك".

وليحاول Rifaee Nabil معرفة مصير البناية التي كانت تضم منزله: "أخي ببوس إيدك بس صورة صوب بياع حلاوة الجبن الرفاعي معلومها ما المحل لأنو عم يقولولي البناي صارت بالأرض بناية الرفاعي".

حمص عصية على الموت

أنجبت حمص مصوريها، ومخرجيها، وكرستهم كرواد للإعلام السوري الحديث، وهي الآن بدأت تنجب موثقيها وتأرشف تاريخها.

وتبدو صفحة "عدسة شاب حمصي" ملهمة لباقي محافظات ومدن سوريا، لتظهر عدسة شاب حلبي، عدسة شاب شامي، عدسة شاب ديري، عدسة شاب دمشقي، عدسة شاب حموي، عدسة شاب سلموني.

"كل ما بفوت ببكي"

بستان الديوان

كتب أحد الشباب CryStal FreeDom تحت صورة بستان الديوان: "أنا كل ما بفوت ع صفحتك ببكي وبطلع.. بس برده بفوت.. مشان وقت أنزل أعرف شو ناطرني".

في حمص تنتمي للحياة التي فقدت الحياة، تخاف من تلك الرجولة، وتنحني لكل تلك الروح التي لم تكسرها القنابل والمدافع والطائرات، وما زالت تبكي السوريين وتضحكهم في آن معاً.

مصرف سوريا المركزي يتدخل بشكل مباشر لحماية "الليرة" من الانهيار

بدأ مصرف سوريا المركزي بيع النقد الأجنبي لشركات الصرافة بشكل مباشر بغية الحفاظ على استقرار سعر صرف الليرة السورية في مواجهة الضغوط التي قد تؤدي إلى ضعفها في مواجهة العملات الأجنبية الرئيسية نتيجة الضغوط الكبيرة على الاقتصاد السوري والعقوبات التي فرضها المجتمع الدولي على السلطات السورية التي تقمع المظاهرات السلمية منذ أكثر من سبعة أشهر، بحسب صحيفة الشرق الأوسط.

ونقلت صحيفة محلية عن حاكم مصرف سوريا أديب ميالة قوله إن المركزي سيقوم للمرة الأولى ببيع القطع الأجنبي إلى شركات الصرافة المرخصة، في نوع من التدخل الصريح للسيطرة على سعر صرف بعض العملات الأجنبية مقابل الليرة السورية في الأسواق المحلية.

ويشهد سعر صرف الليرة مقابل الدولار واليورو تذبذبا؛ ففي اليومين الماضيين وصل سعر صرف الدولار مقابل الليرة إلى أكثر من 54 ليرة سورية للدولار الواحد أي بزيادة عن سعره شبه المستقر الذي يتراوح بين 50 و51 ليرة، إلا أن سعر الصرف ما لبث أن عاد إلى حدود 52 ليرة. وكذلك شهد اليورو صعودا ووصل في الأيام الأخيرة إلى 73 ليرة إلا أنه عاد إلى نحو 71 ليرة سورية لليورو الواحد.

وحسب ما قال ميالة لصحيفة الوطن شبه الرسمية إن المركزي لديه مخزون كافٍ من القطع الأجنبي للنهوض بأعباء الموازنة العامة للدولة، وتمويل المشاريع الخدمية والاستراتيجية التي توقف الاتحاد الأوروبي عن تمويلها.

ويذكر أن حجم القروض والمعونات التي كان يقدمها الاتحاد الأوروبي بكافة مؤسساته كانت تتجاوز مليار يورو ولكن معظمها توقف بفعل العقوبات.

ونفى حاكم المصرف المركزي في سوريا الذي كان أعلن في حديث لصحيفة حكومية قبل أيام أن بلاده مستعدة للتعامل مع ثلاث قارات في العالم من أصل خمس قارات نفى اليوم الشائعات التي كانت تقول بعدم قدرة الحكومة على سداد الرواتب والأجور لموظفيها قائلا: «إنه رغم الإشاعات التي راجت قبل ثلاثة أشهر عن عدم توافر السيولة لصرف الرواتب، فإن الرواتب صرفت بل قبل أوانها، مما يفند الإشاعات فعلا لا قولا».

ويتلقى موظفو الحكومة حتى اليوم مرتباتهم مطلع كل شهر دون تأخير يذكر بحسب تأكيدات العديد من موظفي القطاع العام الذي يؤمن فرص عمل لأكثر من مليون ومائتي ألف وظيفة فضلا عن مئات الآلاف في قطاع الجيش وقوى الأمن.

وأوضح حاكم البنك المركزي أن «التعامل بالعملة الروسية (الروبل) لن يكون بداية على مستوى الأفراد بل سيستخدم لتسديد قيم الصفقات التي تُجرى، (خاصة) أن التجارة الخارجية بين سوريا وروسيا تسدد بالروبل».

التشاؤم يلقي بظلاله على المحادثات في مؤتمر جنيف

افتتحت في جنيف يوم السبت المحادثات الدولية الرامية لإيجاد سبيل لحل الصراع السوري الذي يزداد دموية وسط خلاف بين القوى الكبرى بشأن مصير الرئيس بشار الأسد.

ويأمل كوفي عنان الأمين العام السابق للأمم المتحدة في حدوث توافق للرأي بشأن خطته لتشكيل حكومة وحدة باستبعاد شخصيات قيادية تعتبر مثيرة للانقسام وهو ما يعني فعليا تنحي الأسد.

غير أن موسكو وهي حليف قديم للأسد وتعارض من حيث المبدأ ما تراه تدخلا أجنبيا في السيادة الداخلية تعبر عن اعتراضها لأي حل يفرض على سوريا من الخارج.

ولا ترى الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوروبيون والعرب سبيلا للمضي قدما في ظل بقاء الأسد في السلطة. وتقدر الأمم المتحدة أن عشرة آلاف شخص قتلوا في إطار محاولة قوات الأسد قمع الانتفاضة ضده.

وقال وزير الخارجية البريطانية وليام هيج في جنيف "لقد كان رأينا دائما هو أن تحقيق مستقبل مستقر لسوريا وترسيخ عملية سياسية مستقرة يعني رحيل الأسد من السلطة في إطار اتفاق بشأن عملية تحول."

ولم يتحدث وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف شيئا للصحفيين.

والتقى هو ونظيرته الأمريكية هيلاري كلينتون في سان بطرسبرج الليلة الماضية لكن مسؤولا أمريكيا قال أن الخلافات مع موسكو بشأن الصراع لا تزال قائمة.

وقال جينادي جاتيلوف نائب لافروف في روسيا قبيل اجتماع جنيف "شركاؤنا الغربيون يريدون أن يقرروا بأنفسهم

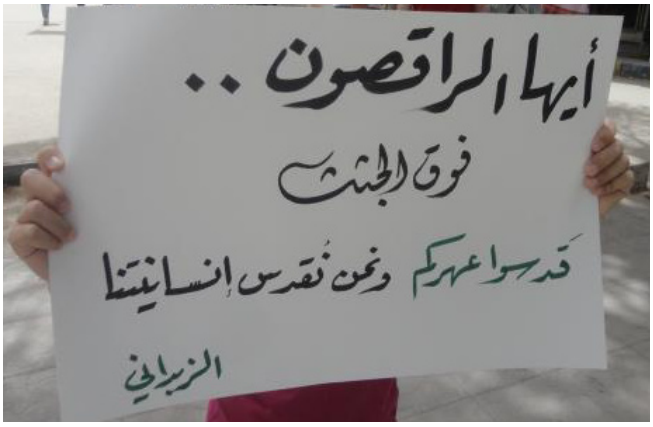

نتيجة العملية السياسية في سوريا برغم أنها مهمة السوريين."

ولم تقدم كلينتون المزيد من الإيضاحات لدى وصولها للمحادثات. لكن هيج أوضح انه يتوقع يوما من المساومات الصعبة.

وأضاف "ثمة فرصة لان يكون المجتمع الدولي أقوى بكثير وان يتصرف بصورة أكثر صلابة لكن لن يمكننا أن نفعل ذلك إلا بموافقة روسيا والصين."

ويشارك وزراء خارجية الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن وهي روسيا والصين والولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا في محادثات يوم السبت.

وتشارك أيضاً تركيا والكويت وقطر والأمين العام للأمم المتحدة بان جي مون والأمين العام للجامعة العربية نبيل العربي.

غير أن إيران أوثق حلفاء سوريا والسعودية وهي خصم لكل من دمشق وطهران وداعمة رئيسية لقوات المعارضة التي تقاتل قوات الأسد لم تحضرا المؤتمر. ولم يحضر أيضاً ممثلون عن الحكومة السورية أو المعارضة.

ويمضي الصراع السوري من سيء إلى أسوأ منذ اندلاع الانتفاضة قبل 16 شهرا والتي تحولت من مجرد احتجاجات سلمية ضد حكم عائلة الأسد المستمر منذ أربعة عقود إلى ما يشبه الحرب الأهلية ذات البعد الطائفي.

وعلى الرغم من إدانة العالم لوحشية الحملة التي تشنها قوات الأسد على المعارضة بما في ذلك قصف المناطق المؤيدة للمعارضة والاعتقالات الجماعية فإنه لم يتمكن من وقف العنف الذي يهدد بأن يجذب المزيد من الحلفاء والخصوم الدينيين والسياسيين في المنطقة.

وعبر عنان الذي توسط في ابريل نيسان لوقف لإطلاق النار يشهد انتهاكات كثيرة منذ ذلك الحين عن "تفاؤله" من أن تتمخض محادثات جنيف عن نتيجة مقبولة. وفي وقت لاحق فشل مسؤولون كبار يعقدون محادثات تحضيرية هناك في التغلب على الخلافات. وقال دبلوماسيون غربيون أن روسيا تضغط من اجل إدخال تعديلات على خطة عنان.

وقال وزير الخارجية الفرنسي لوران فابيوس الذي وصل لحضور المحادثات "من الضروري للغاية أن يتوقف العنف وان يبدأ تحول سياسي. كوفي عنان أعد اقتراحات معقولة أتعشم أن تلقى دعما وهذا هو الهدف من محادثات اليوم."

وابلغ دبلوماسي عربي رويترز ليل الجمعة بعد اجتماع تمهيدي انتهى في جنيف أن وضع الخطة يبدو سيئاً.

وأضاف "إذا لم يكن هناك اتفاق فإن بشار الأسد سيعرف أن لديه كل فرصة ممكنة لتقوم طائراته بحرق البلدات وان المجتمع الدولي لن يفعل شيئا."

وتعترض روسيا والصين على ما يراه البلدان تدخلا غربيا في الشؤون الداخلية لحكام مثل معمر القذافي في ليبيا.

غير أن الحكومات الغربية لم تظهر استعدادا يذكر لتكرار التجربة الليبية العام الماضي بتقديم دعم عسكري للمعارضة السورية التي تفوقها القوات السورية عدة وعتادا وحيث توجد تعقيدات كبيرة جدا للأمور المتعلقة بالعرق والدين.

في غضون ذلك استمر القتال على الأرض في سوريا أمس الجمعة وشهدت الحدود الشمالية مع تركيا توترا على وجه الخصوص وذلك بعد أسبوع من إسقاط طائرة حربية تركية.

وقال معارضون أن الطائرات الحربية السورية قصفت بلدة إستراتيجية في الشمال وتحركت الدبابات لمسافة اقرب لحلب المركز الاقتصادي.

تحذير من تحصين "مجرمي الحرب" بسوريا

حذرت منظمتا العفو الدولية وهيومن رايتس ووتش من أي تسوية سياسية للأزمة في سوريا على حساب حقوق الإنسان، أو العفو عن جرائم يطالها القانون الدولي.

ودعت العفو الدولية المسؤولين المشاركين في اجتماع مجموعة العمل حول سوريا بجنيف اليوم السبت، إلى عدم التضحية بحقوق الإنسان بهدف تسهيل التوصل إلى تسوية سياسية للأزمة. ودعتهم إلى "عدم انتهاج سياسة تتضمن إصدار عفو أو ما يشبه العفو عن جرائم يطالها القانون الدولي، واعتبار هذا العفو بمثابة عنصر في أي خطة سلام".

وشدد البيان على أن "وقف المجازر يجب أن يكون الأولوية بالنسبة إلى الجميع، إلا أنه سيكون من المؤذي جدا أن يفكر المجتمع الدولي في منح الحصانة لأشخاص مسؤولين عن جرائم ضد الإنسانية أو جرائم حرب".

وقالت المنظمة إن "سياسة الأمم المتحدة هي عدم جواز العفو عن المسؤولين عن جرائم يلاحقها القانون الدولي".

من جهتها، شددت منظمة هيومن رايتس ووتش على أن المحاسبة على الانتهاكات الخطيرة ومراقبة تطبيق حقوق الإنسان، يجب أن تكون نقاطاً أساسية في أي خطة انتقالية بسوريا.

واستبقت المنظمة اجتماع جنيف فأصدرت بياناً قالت فيه إنه لا بد أن تشمل الأولويات وضع حد فوري لانتهاكات حقوق الإنسان الفادحة، وإطلاق السجناء السياسيين، والسماح بدخول مراقبي حقوق الإنسان دون قيود إلى مراكز الاعتقال، وتقديم المساعدة الإنسانية ووضع خريطة طريق ملموسة لكبح الأجهزة الأمنية السورية.

يشار إلى أن اجتماع مجموعة العمل الذي أعلن عنه المبعوث الأممي العربي كوفي أنان يعقد في جنيف اليوم السبت، ويشارك فيه ممثلون عن الصين وفرنسا وروسيا وبريطانيا وأميركا وتركيا والعراق والكويت وقطر، إضافة إلى الأمينين العامين للأمم المتحدة بان كي مون، ولجامعة الدول العربية نبيل العربي، والممثلة العليا للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية في الاتحاد الأوروبي.

وقالت مديرة قسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في المنظمة سارة لي ويتسون إنه لن تكون عملية انتقال حقيقية في سوريا بينما الأجهزة الأمنية فوق القانون ويمكنها انتهاك الحقوق الأساسية للشعب.

وأضافت أن على مجموعة العمل أن تعمل على ضمان قدرة مهمة الأمم المتحدة في سوريا على مراقبة الانتهاكات ودعم عمليات المحاسبة خلال وبعد العملية الانتقالية.

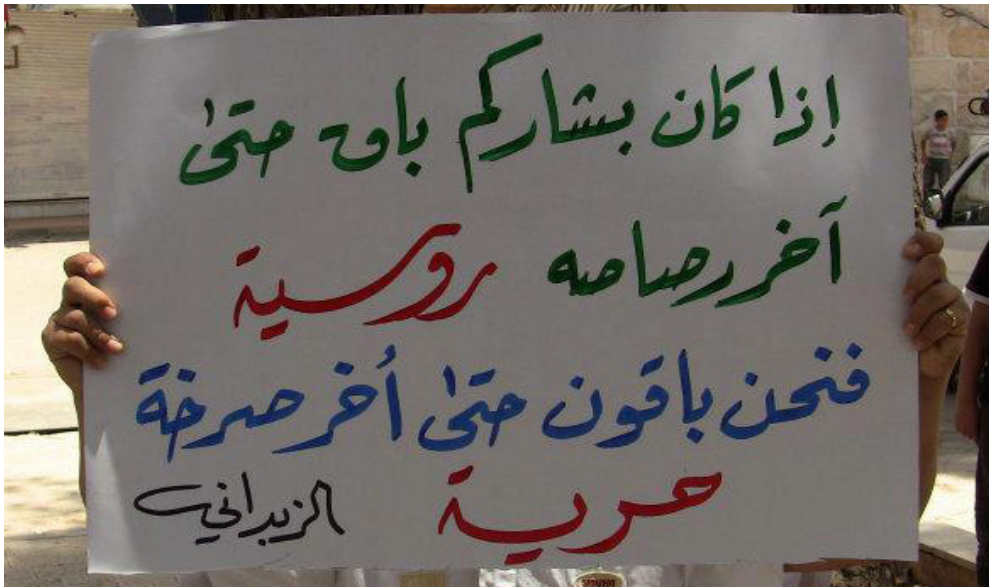

بين الإعلام الرسمي والإعلام المعارض

فجرٌ إعلامي جديد..

■ ياسر مرزوق

إن أبرزَ ما يميّز الوضعَ السوريَّ اليوم هو الاستعصاءُ وعدمُ وجودِ آفاقٍ واضحة. لا السلطةُ ولا الحراكُ الشعبيّ قادران على الحسم، في حين يتزايد تدهورُ الوضع السياسيِّ والأمنيّ والمعيشيّ والاقتصاديّ.

في السياسة كلُّ شيءٍ محتمل، وما يزيدُ إمكانيّةَ انتصار احتمالٍ على آخرَ هو الظروفُ الموضوعيّة وإرادات البشر. بالنسبة إلى النظام السوريّ، أرى أنه أصبح خارج التاريخ، ولذلك ستلفظه قوانينُ التاريخ، بما يعني أنّ مسألةَ زواله مسألةُ وقت. وقد تحدث ظروفٌ تؤخّر زواله، لكنْ تعود قوانينُ التاريخ وتتحكمُ بالسياسةِ والوقائع. هذا الرأي لا يعني أنني أغلّبُ رغبتي وآمالي، بل لأنّ النظامَ في الواقع سقطتْ كلّ مقولاته الإيديولوجيّة، وذهبتْ إلى غير رجعةٍ مقولةُ "الحزب القائد للدولة والمجتمع" ومقولةُ "إلى الأبد"، وذهبتْ مع الثورة كلُّ عناصر الخوف التي زرعها النظامُ في السوريّين، وتكشّف النظامُ عن مجرّد طغمةٍ مستبدّةٍ وفاسدة، ولا يمكن نظامًا سياسيًّا أن يستمرَّ إنْ كانت شرعيّته مستمدّةً من عناصر القوّة العسكريّة والأمنيّة فقط، النظام لن يستطيع الاستمرارَ ولو توقّفت الاحتجاجات؛ فقد خلق شروخًا هائلةً داخل المجتمع. والسبيل الوحيد الذي يمكنه تحقيقُ السلم الأهليِّ والمصالحة الوطنيّة هو تطبيقُ برنامج العدالة الانتقاليّة. فإذا لم يذهب النظامُ، فإنّ آليّة الحقد والانتقام ستكون هي السائدة في المجتمع.

أعتقد أنّ الصامتين مقتنعون بهذا التوصيف، إلى جانب قسم لا بأسَ به من الذين كانوا موالين للنظام: فهم فقدوا الثقة به، ويرون أنه جرّهم إلى وضع يُظهرهم داعمين لسياساته في القتلِ والتعذيب. وهنا يأتي السؤال المهمّ: كيف يمكن أن يرحل النظام بأقل خسائرَ ممكنةٍ على الدولة والمجتمع، بحيث لا يكون مسارُ البلد هو الفوضى في حال رحيله؟ والإجابة عنه هي مهمّة كل السوريّين. "والكلام للمعارض السوري "حازم نهار" من لقاءه الأخير مع "مجلة الآداب".

أضحى النظام أشبه بساعةٍ رملية، دقائقها تتسرب ببطء، كحبات رمالها. يوماً ما ستنبذ. ستغيب رويداً. رويداً. ورحيل النظام يقينٌ عند المعارضين والموالين، انتقل الخلاف والحوار في مقاهي دمشق وأزقتها إلى شكل سوريا الجديدة وطبيعة المرحلة القادمة في البلاد، فسوريا على أعتاب الجمهوريّة الثانية أو الثالثة أو الرابعة والخلاف على الترقيم متروكٌ للمؤرخين، وأياً كان الخلاف على ترتيب الجمهورية فالوفاق لابد أن يكون على نقد التجربة والاستفادة من الأخطاء السابقة، فمن لا يقرأ دروس التاريخ هو عرضةٌ لتكرار أخطاءه، ولعل أسطع أوجه الفشل لدى النظام والمعارضة كان الإعلام، فإعلام النظام كاذب، بحكم تخلف مهنيته الحرفية، وبحكم سيطرة نظام لا يعرف شيئاً عن الإعلام، وعن أهميته كوسيلة توصيل وإقناع، إعلاميو النظام احترفوا الكذب وتصميم صيغ إعلامية غاية في البراعة والخبث مصممة بإتقان لإرسال الرسائل وتشتيت مسارات التفكير وفرض سيطرة نفسية على الشعب المستأنس المسيس لعشرات السنين المتلقي السلبي لكل ما كان يزرعه النظام بإعلامه مما أدى لفقدان سيطرة على التحليل والنقد والتمييز واتخاذ القرار وفي النهاية تتكون حيرة بالتباس، تقتضي الشك أو عدم التصديق. ولعل الحديث عن إعلام النظام الذي أضحى مثار التندر في مواقع التواصل الاجتماعي الموالي قبل المعارض بلا طائل، فبعد عام ونصف تقريباً من المؤامرة الخارجية والهجمة الإعلامية بحسب النظام لم نلحظ تطوراً حتى على صعيد التقنيات.

الإعلام المعارض

إعلام المعارضة على افتراض وجودها، فالمعارضة مصطلحٌ في المجتمعات الديمقراطية، أما في الحالة السورية فالمعارضة كانت مجموعاتٍ رافضةً للنظام، لم تنل اعتراف النظام أو معرفة الشارع، وعلى هذه الخلفية ليس من المفاجئ أن يكون إعلام المعارضة السوريةٍ شديد التواضع كماً ونوعاً وانتشاراً، وبالتالي دوراً اجتماعياً. ويجب أن يكون واضحا قبل كل شيء أننا نتحدث فقط عن إعلام مقروء، أي عن أقدم أشكال وسائل الإعلام وأقلها كلفة نسبياً. أما الإعلام المسموع والمرئي فما لا يمكن التفكير فيه بالنسبة لجميع المعارضين السوريين في الداخل والخارج. فهنا يلتقي تحريم السلطة السياسي مع فقر المعارضة المادي ليحبس الإعلام المعارض في دائرة المقروء وحدها. ثم أن هذا الإعلام المقروء المتواضع كان يطبع سراً ويوزع سراً أيضاً ونتحدث في الواقع عن نشرات شهرية في أحسن الأحوال وليس عن جرائد أو مجلات؛ نشرات غير ملونة وبلا صور طبعاً ؛ ولما كانت شهرية أو فصلية فإنها بلا أخبار أيضاً، أي كذلك بلا إعلام أو بوظيفة إعلامية منقوصة، والقارئ للكبير "زكريا تامر" عن نظام يعتقل يوسف العظمة والخيام ليلاً ويحاكم صلاح الدين ويقتل شاباً يحمل دواوين شعر لمحبوبته يدرك مدى قتامة الواقع الذي زاود حتى على سوداوية "تامر ".

كيف لنا والحالة هذه أن نتحدث عن إعلام حقيقي بما في ذلك الإعلام الرسمي نفسه دون حياة سياسية وثقافية شرعية وعلنية. إذ لا معنى للحديث عن إعلام معارض دون وجود معترف به وشرعي للمعارضة. فمشكلة الإعلام السوري المعارض هي مشكلة المعارضة السورية ومشكلة المجتمع المدني السوري: انعدام الحرية وسيطرة الصوت الواحد والرأي الواحد والحزب الواحد، فالحرية الإعلامية، حرية الكتابة والنشر وتداول المعلومات والوصول إليها، جزء من مناخ الحريات السياسية، وهما معا الماء الذي لا تسبح في غيره الصحافة ووسائل الإعلام المتطورة.

مع ولادة الثورة السورية المجيدة لم يحدث التطور المرجو في إعلام المعارضة، فظهرت شبكاتٌ إعلامية انحصر دورها في جمع التسجيلات وإرسالها للفضائيات الأوسع انتشاراً دون مشاركةٍ في النقل والتحليل، والكلام هنا ليس انتقاصاً للجهد الجبار الذي تقوم به هذه الشبكات في ظل ظروف الحظر والملاحقة، بقد ما يحمل من إدانةٍ للهياكل التنظيمية لبعض أطياف المعارضة التي لم تفلح في إيجاد منابر إعلامية حقيقية تنقل الواقع للشعب السوري وتعرف بالقضية السورية بصيغ حيادية بعيداً عن المبالغات وتضارب الرؤى على الفضائيات الأمر الذي أضعف صدقية الإعلام المعارض وحرمه من فرصة التغلب على خصم مهزوم، خلال الحرب العالمية الأولى كان ديغول يخاطب الفرنسيين عبر أثير ال " بي بي سي "في لندن. كان يصارحهم بإنجازات ونكسات المقاومة للاحتلال. ليس هناك ديغول سوري في هذه الأيام. هناك نجومٌ في المعارضة يجوبون الشاشات. يقدمون أشخاصهم قبل قضيتهم.

كان لابد لإعلام المعارضة، بكل فصائلها، أن يكون صادقاً، أميناً، حرفياً، يستمد نزاهته، شجاعته، من براءة وطهارة انتفاضة سلمية، جوبهت بقمع وحشي. وإعلام رسمي كاذب. يصون حق السوريين في أن يعرفوا شيئاً عما يدور في بلدهم المنكوب، بدلاً من إعلام ناصري المدرسة يوحي كل يوم بانتصاراتٍ مذهلةٍ للمعارضة، وأن الجماهير على أبواب القصر الجمهوري، وتمر الأيام وتتصاعد النكسات النفسية لدى سوريي الداخل. ليضحي الإعلام السوري المعارض بطلاً في مسرحية "شوقي" الشهيرة "مجنون ليلى" ولسان حاله يقول: نحن الثلاثة ارتطمنا بالقدر " ثلاثة أبطال في يدهم مفاتيح الفكر والعقل ارتطموا بالقدر بالرغم من حسن نواياهم.

الإعلام الأهلي

أمام هذا المشهد القاتم تتفتح الورود في حدائق دمشق والاستعارة هنا من "أحمد فؤاد نجم" من رائعته "يا عيني عالورد للي فتح في جنين مصر" وتظهر صحفٌ شبابية معارضة، تذكرنا بأننا أمام ثورة إحدى أهم ميزاتها أنها موصولة بعصرها، فإرهاصات الثورة وأول دعواتها ظهرت على شبكات التواصل الاجتماعي، وأننا أما م ثورةٍ قام بها شباب جاءته وسائل زمنه واستطاع أن يستوعبها، وأن يستعملها، نحن أمام ثورةٍ لأول مرة في عصر التكنولوجيا المتقدمة والشباب هو الأقدر على استيعابها، وهم الأقدر على قلب المعادلة فالإعلام التواصلي الجديد كان له الدور الأكبر في تحريك الشارع وتحقيق التغيير، ولينقل الإعلام السياسي بفضل الوسائط الاتصالية الجديدة من إعلام رأسي من الأعلى إلى الأسفل، من الحكام إلى المحكومين، من الرؤساء إلى المرؤوسين، إلى إعلام أفقي من خلال وسائط إعلامية بديلة سمحت للطبقات الشعبية بأن تعبر عن رأيها وتصنع الخبر من خلال التقنيات الحديثة ومن خلال لوحة مفاتيح الحاسوب.

حين بدأت هذه الصحف بالانتشار نظر إليها الكثيرون، على أنها تجارب لصحفيين هواة "صحفيو الفيس بوك"..... مجرد شباب بلا خبرة إعلامية حقيقية في دراسة وتحليل الأخبار أو التعامل بالمنظور الإعلامي الحربي الذي يفرضه عليهم واقع مواجهتهم للنظام.... وأن رسالتها ستكون مشوشة سطحية غير موجهة بعناية ولا تحمل رسائل كاملة..... وأنها في النهاية ستسقط في إطار الروتين المفروض عليها سواء بلعب دور الضحية أو في اتخاذ وضع دفاعي أو الاشتباك مع الخصوم السياسيين من نفس الطرف وفي نفس الخنادق في مواجهتهم للنظام.... لكن الواقع أثبت عكس ذلك تماما فقد أيقن هؤلاء الشبان، أنه بلا إعلام معارض صادق في أرقامه. ووقائعه. كاشف لأداء وانتماءات فصائل المعارضة السياسية والمسلحة، فستصعب على السوريين، عندما تدق ساعة الحرية، إقامة نظام حر، ديمقراطي، وإصدار صحافة تقدر قيمة الحقيقة والمعلومة والخبر والرقم، في هذه اللحظة أثبت الشباب السوري انتمائه للزمرة القدسية التي قال عنها الشاعر الألماني الكبير "هولدرلن":

لقد كان الليل والصقيع خليقين
أن يسودا الأرضين
وكانت الروح خليقة
أن تجهز على نفسها، أن تنتحر
لو أن الإله الرحيم
لم يبعث من حين لآخر
بمثل هؤلاء الفتيان
لتنتعش الحياة الزابلة
لينتعش الإنسان.

ولسنا هنا بصدد تقييم التجربة مهنيا، على الرغم من الحرفية التي تظهر في بعض هذه المطبوعات، حتى أنه يعاب على بعضها الجنوح للنخبوية في انتقاء المواضيع والمصطلحات، في حين توجه آخرون إلى أسلوب شعبي باللهجة المحكية مستلهمين التجربة المصرية ومؤسسين ربما لأدب شعبي لم تعرفه سوريا سابقا، وإذا كان معيار نجاح الوسيلة الإعلامية هو قدرتها على فتح فضاءات للتواصل مع الجمهور، فيكون الإعلام المعارض الرديف أو البديل قد نجح بامتياز وإذا قاربنا الموضوع على اعتباره شكلاً من أشكال الحراك المجتمعي بعيداً عن قسوة المعايير الحرفية فالتجربة ناجحة بامتياز أيضاً.

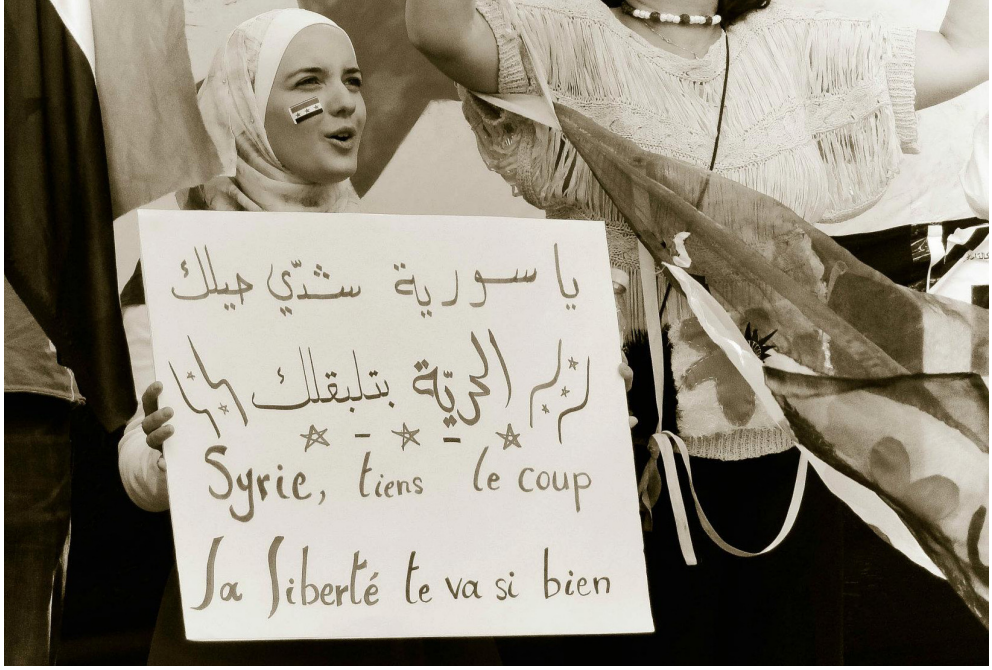

قبل استعراض طائفة من الصحف المنتشرة في سوريا، لا بد من الإشارة إلى أن ما تشهده الساحة الإعلامية الأهلية إذا جاز لي التعبير، لهو بحق صفحةٌ ساحرة من صفحات ثورتنا السورية، فشبابنا وجد نفسه مضطرا لإعادة بناء التاريخ والعودة بالعمل الصحفي إلى نشأته الأولى، هي مرحلةٌ سيذكرها تاريخ الإعلام السوري جيدا، وأذكر قول الزعيم الهندي الكبير "نهرو" من رسالته الأخيرة التي بعث بها من سجنه لابنته "أنديرا" والتي قال فيها: "ليس التاريخ عرضا سحريا.. لكن فيه سحرا لمن يستطيع أن يراه" إلا أن ما يسطره الشباب السوري هو عرضٌ سحري بامتياز مخالفين "نهرو" في رؤيته، ولي أن اعتذر من كل السحرة الذين لم يرد ذكرهم في ملفنا هذا والسبب هو تقصيري في البحث والاستقصاء عن مطبوعات الثورة، واعتذر أيضاً عن لقب الساحر فإنجاز عدد أسبوعي أو نصف شهري في الداخل السوري المحاصر وبتمويل ذاتي، يتطلب تنظيما وجهدا يرقى لأعمال السحر بل يتخطاها لاستعانةٍ بالآلهة... فالقائمون على هذه الصحف هم جنود الآلهة الهندية الذين أقسموا يميناً أنقل متنه عن "الدالاي لاما" "طالما السماء قائمة، وطالما هناك كائنات حية فلأبق أنا موجودا، لأساعدهم وأريحهم من كل الآلام"

جريدة عنب بلدي:

جريدة أسبوعية تصدر وتوزع في داريا، بطبعةٍ ملونة، ويشير شعارها إلى أنها "من كرم الثورة" وقد لا يكون من المصادفة أن داريا تنتج أفضل أنواع العنب في ريف دمشق، شبان وشابات يقومون على هذه الدورية والتي تمزج بين الفكر والسياسة والتوعية والترفيه أحيانا. ولعنب بلدي هوية إسلامية راقية تطل على القارئ بخفر دون تحدٍ أو إقصاء.

مجلة أوكسجين:

مجلة أسبوعية تصدر عن شباب الزبداني وتطبع وتوزع في الزبداني والمناطق المحيطة، وللمجلة نكهة خاصة وحيوية يلحظها المتتبع للأعداد، كما تحوي أبوابا لا تخلوا من الطرافة، لعل أهمها صفحة الأبراج التي تعرض لأبراج " البط، الشبيح، المنحبكجي".

جريدة أخبار المندس:

جريدة نصف شهرية تصدر عن مجموعة من الشباب المستقل، داعمة للحراك السلمي، وتتطور هذه الجريدة بشكل مطرد خاصة في مجال التحقيقات، توقفت ووعدت بالعودة للصدور ليقين القائمين عليها بالسلمية مهما علا صوت الرصاص.

جريدة طلعنا عالحرية:

جريدة نصف شهرية تعنى بشؤون الثورة، تصدر عن لجان التنسيق المحلية في سوريا، تطبع وتوزع داخل المدن والقرى السورية وفي المهجر، وتنبع أهميتها من توثيق الخبر، لفاعلية لجان التنسيق على الأرض.

سورية بدا حرية:

مجلة أسبوعية سياسية ثقافية فكرية، تعنى بشؤون الثورة السورية ميدانيا وفكريا، توثق الحدث وتعرضه من كافة الجوانب. تعنى بوجهات النظر وتحليلات المفكرين وآرائهم. كما تتميز بجودة الصورة والإخراج المتقن

صحيفة أحرار سوريا:

تصدر عن شباب سوريا الثائر ويمكن لأي مدينة أو محافظة أخرى إنشاء صحيفة خاصة بمدينتهم لنفس الغاية وتحت اسم صحيفة أحرار سوريا.

جريدة أحرار سوريا "جريدة أحرار دوما سابقا":

جريدة أسبوعية تصدر في سوريا في مدينة دوما بريف دمشق، تهتم بقضايا الثورة السورية وتم نشر ما يقارب 500 نسخة منها في إصدارها الأول في صباح يوم عيد الفطر 30 / 8 / 2011. الهدف الأساسي منها نشر ثقافة وأخبار الثورة بين الناس الذين لا يتمكنون من تصفح تنسيقيات الثورة عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

جريدة الحق:

تصدر عن تنسيقية الميدان بدمشق بالتعاون مع شباب أيام الحرية وهي جريدة سياسية، إخبارية، ثقافية، مستقلة تعنى بالشأن الداخلي السوري، وتنحاز انحيازًا تامًا للثورة السورية، وتتميز هذه الدورية بين أقرانها بالحس الفني العالي وجودة الصورة، التي يتقنها القائمون على تجمع أيام الحرية.

جريدة زمان الوصل:

جريدة الكترونية سورية مستقلة تأسست عام 2005 في مدينة حمص وتتميز بنقلها السريع للخبر وتطرقها لجميع أنواعه دون التطرف لجهة معينة، كان لها دور كبير في نشر الأخبار بين سكان حمص، قبل اجتياح المدينة وتعذر الاتصال بشكل شبه دائم.

جريدة أحرار قاسيون "أحرار الصالحية سابقا":

تصدر في منطقة الصالحية في دمشق ولعل أكثر ما يميزها التصاقها بالحراك الشعبي المستمر في المنطقة.

جريدة حريات:

أسبوعية مستقلة كما تعرف عن نفسها، تتميز بغلبة بالطابع الإخباري عليها، بالإضافة لوجدانيات ورصدٍ للفضاء الالكتروني.

لعل القاسم المشترك الأكبر بين الصحف آنفة الذكر ليس الثورة وليس الهم الوطني فهو مشتركٌ بين جميع السوريين إنما هو بعدٌ إنساني أشد ضياءً لم يتعلمه السوريون ولم يمارسوه، على مدى خمسين عاما تقريبا إنه احترام الرأي والرأي الآخر والتواطؤ على ثقافة الاختلاف، القاسم المشترك بين هذه التجارب هو الإجماع على الكلمة الطيبة، ففقراء الهنود يغنون بالمزمار للأفعى فترقص، والحصان الجامح تدغدغ عرفه فيطمأن من عنفوانه، وقلبك أنت وقلبي يعطي كل حبه لهمسةٍ حلوة، يعطي كنوزا دونها كنوز ألف ليلة، فحتى الحق نفسه، نحن نكرهه إذا لم يلبس الكلمة الطيبة...

إن الله تعالى نفسه حين شاء أن يرد البشر إلى سبيله بعث إليهم بكلمةٍ طيبةٍ من عنده....

لم أعرج في ملف اليوم على الوسائل الإعلامية الأخرى كالإذاعات والمواقع الالكترونية، ليس انتقاصاً من قيمتها أو لجهد القائمين عليها، لكن حين نعلم أن مستخدمي الانترنت في سوريا لم يتجاوز عددهم النصف مليون مستخدم، وأن خدمة الاتصال تكاد تنعدم خارج العاصمة والمدن الكبرى، ندرك أن الأولوية في بحثنا اليوم لا بد وأن تكون للإعلام الأهلي المتداول باليد....

أختم اليوم مقاطع من أيقونة " الأبنودي " التي وجهها لشباب الثورة في مصر ليس تعصبا للشعر العامي المصري بل بانتظار شعر عامي سوري بدأت بشائره بالظهور: " طلّع الشباب البديع قلبوا خريفها ربيع.. وحققوا المعجزة صحوا القتيل من القتل.. اقتلني قتلى ما هيعيد دولتك تاني.. بكتب بدمي حياة تانية لأوطاني.. دمي ده ولا الربيع الاتنين بلون أخضر.. وبتبسم من سعادتي ولا أحزاني.. لكن خلاص يا وطن.. صحيت جموع الخلق قبضوا على الشمس بأيديهم.. وقالوا لا من المستحيل يفرطوا عقد الوطن تاني.. والكذب تاني محال يلبس قناع الحق".

ما بعد الثورة

■ خالد كنفاني

تبدو الأزمة السورية في مراحلها الأخيرة ما بين متفائل بتحول سوريا مباشرة إلى "لوكسمبورغ" الشرق الأوسط بمجرد رحيل النظام وما بين متشائم يرى أن البلاد دخلت نفقاً مظلماً طويلاً من الصراعات التي ستنشأ بعد سقوط النظام.

وفي خضم كل ذلك يتم تشكيل حكومة جديدة تؤدي القسم أمام الرئيس وكأن شيئاً لم يكن في البلد. وبينما يعلن النظام أن البلد في حالة حرب تعيش معظم المناطق السورية حالة حرب حقيقية بين الجيش النظامي وبين الفصائل والكتائب المختلفة التوجهات والتسميات.

انفجر العنف الدفين لدى الجميع اليوم في كل الاتجاهات. فقوات النظام والتي لم تعتد أساساً رحمة أحد أطلقت العنان لجنونها ووحشيتها باتجاه أي شيء، حتى أن رصاصة واحدة تنطلق من أية منطقة كفيلة بتدمير المنطقة على من فيها، وبالمقابل فإن سنوات القمع والقهر الدفين تتفجر اليوم على أيدي مقاتلين وغير مقاتلين يحملون وربما للمرة الأولى أسلحة أوتوماتيكية حديثة الصنع يريدون الانتقام بأي شكل وبأي اتجاه. كلا الفعلين غير مبرر وسيعزز من مخاوف المتشائمين في انزلاق البلد نحو حرب ليست أهلية وحسب وإنما شعبية وعشوائية وربما دولية أيضاً.

وفي أتون كل ذلك تتوالى الاجتماعات والمؤتمرات التي تخرج بما دخلت به، آراء متفرقة ورؤية مختلفة للمسألة السورية العصية على الفهم والعصية على الحل. حتى أن عبد الباري عطوان وصل إلى حد التأكيد على أن المملكة العربية السعودية لو كانت تعلم ان النظام سيصمد خمسة عشر شهراً لكانت وقفت إلى جانبه كما فعلت طوال الأعوام الأربعين الماضية.

يزداد يوماً بعد يوم الاحتقان الطائفي والعشائري بشكل كبير في كل أرجاء سوريا، وما كان يوماً ثورة شعبية ضد نظام مستبد يتبدل اليوم شيئاً فشيئاً ليتخذ أشكالاً مخيفة من أعمال الانتقام والعداء وهو نتيجة طبيعية لطول أمد الأزمة ودخول الكثير من اللاعبين على خط الثورة وهو ما تعترف به أكثر من جهة سواء من حيث التسليح أو الدعم اللوجستي.

ورغم إيماننا العميق بأن ثمن التغيير ليس سهلاً ولا بسيطاً، غير أننا علينا أن نفهم أن المراحل الانتقالية هي عادة من أصعب المراحل وتختلف حدتها ودمويتها من بلد لآخر حسب الظروف السياسية والاجتماعية في كل بلد. وعلى كل المتفائلين "كثيراً" أن ينتبهوا إلى الحقائق الديمغرافية والاجتماعية والثقافية في سوريا والتي تفرض نفسها بقوة في أي حل سياسي أو اجتماعي يخرج البلاد من هذا النفق. صحيح أن التنوع في سوريا قديم قدم الزمان ولكنه تعرض للكثير من الهزات والتداخلات عبر تاريخه الطويل. فالمنطقة العربية تحيا على العصبية بتعبير العالم الكبير ابن خلدون الذي لاحظ أن العرب لا تقوم لهم قائمة في الملك إلا بالعصبية. ونحن لن نبالغ اليوم إذا قلنا أن الربيع العربي قد يكون مقدمة للتغيير في هذه المسألة إلا أن ملامح هذا التغيير لم تظهر بعد. ينكفئ الجميع إلى طوائفهم وعشائرهم عند أول هزة أو شعور بالخطر، ولهذا تبقى الطائفة أو المذهب أو العشيرة الحصن الحصين لأفراد يفترض أنهم كانوا يتعايشون في دولة. وتبرز للعلن قضية "المرجعيات" على اختلاف مشاربها ويتحول الولاء إلى "الإمام" أو "الشيخ" أو "الكاهن" الذي يبرز كقوة اجتماعية وثقافية تتغلب على كل المرجعيات الوطنية أو القومية إن وجدت.

علينا جميعاً أن نفهم مسألة المرحلة الانتقالية لأنها قد تطول ولا تظهر نتائجها إلا بعد فترة طويلة جداً. وكما تعودت أن أكرر في كافة مقالاتي السابقة، فإن هذا ليس تخويفاً ولا إحباطاً، ولكننا أحوج ما نكون إلى الواقعية وقراءة الواقع وتحليله بشكل صحيح للوصول إلى أفضل ما يمكن من النتائج. ومع التأكيد على أن كل الأحلام ممكنة التحقيق فإننا يجب أن نفهم ظروف وطننا وأن نرجع إلى التاريخ الذي حفل بتجارب مشابهة قد تنير لنا بعض الطريق.

جرت أول انتخابات حقيقية وحرة في فرنسا عام 1958 أي بعد حوالي مائة وسبعين عاماً من الثورة التي قامت عام 1789. كانت مسيرة الثورة الفرنسية حافلة بالأحداث المثيرة والغريبة. فقد أكلت الثورة رجالها بعد وقت قصير من قيامها وانتشرت الإعدامات بينهم بشكل رهيب. ثم تم تنصيب الملكية من جديد ثم عادت الجمهورية وقام نابليون بتنصيب نفسه امبراطوراً وتتالت الأحداث حتى الجمهورية الخامسة عام 1958 والتي أتت بشارل ديغول إلى السلطة.

أما الثورة الأمريكية والتي بدأت كعصيان ضد القوات الانكليزية فإن نتائجها لم تظهر إلا بعد زمن طويل رغم إقرار دستور للولايات المتحدة عام 1789 حيث قامت الحرب الأهلية والتي امتدت لحوالي خمس سنوات بين الشمال والجنوب حول مسألة العبيد. ولم تعرف الولايات المتحدة الاستقرار إلا مع مطلع القرن العشرين أي بعد مرور ما يزيد على مائة عام من ثورتها.

نسوق بعض هذه الأمثلة للتأكيد على أن طريق التغيير طويلة، وأن كل من يضحون اليوم بدمائهم وأرواحهم سوف يتركون لأولادهم وأحفادهم إرثاً من الحرية والكرامة. ولكن الطريق متعبة مضنية، وستحتاج إلى الكثير من العقول النيرة المتطلعة إلى المستقبل لا إلى الصراخ والشتائم لكسب رضا الشارع. لقد كان الرجال المؤسسون للجمهورية الفرنسية أو الولايات المتحدة أو ألمانيا رجالاً تاريخيين بمعنى الكلمة ولم يكونوا رواد فنادق أو ماهرين في كثرة الكلام. وإلى أن يظهر أمثال هؤلاء في سوريا ومصر وتونس وليبيا واليمن والبحرين فإن الثورة ستبقى حبيسة ضيق الأفق وقصر النظر. إن بناء الأوطان لا يتم بالشعارات فقد سمعنا ما يكفي منها بينما كانت أوطاننا تتهاوى.

هذا أوان العمل الحقيقي ومن لا يعتقد في نفسه القدرة عليه أن يتنحى جانباً تاركاً المجال لمن يستطيع. نحن نقدر عالياً قيام الدكتور برهان غليون -أخيراً- بزيارة "خاطفة" لمنطقة ما على الحدود السورية التركية ولكن هذه ليست سوريا يا سيدي، فهناك الكثير من المناطق تستحق نظرة منك حتى ولو كانت خاطفة، فهذا وطنك كما تدعي وقد يكون شرفاً لك الموت على أرضه بدلاً من البقاء على منطقة حدودية وأنت تتصبب عرقاً خوفاً من قذيفة طائشة أو نيران صديقة ربما!

ماذا تبقى لهذه الثورة من أمل اليوم؟ هل هو التدخل الخارجي؟ طار القذافي في ليبيا تحت وقع ضربات الناتو وها هي ليبيا اليوم تطير جزءاً جزءاً ولا من مهتم أصلاً. حتى أن القتلى الذين يعدون بالمئات لم يعد أحد يذكرهم في معظم نشرات الأخبار العربية والأجنبية على أساس أن المهم القضاء على الطاغية وليس المهم إعمار البلد أو توحيده أو تطويره. في العراق دخل الفاتحون الأمريكان ومعهم رموز المعارضة العراقية الباسلة ليسقط بعدها مليون عراقي بين قتيل وجريح ومعتقل. وتترك أمريكا العراق لقدره الغامض بيد حكومة أشد فساداً مما مضى وعدد هائل من المعتقلين والمساجين. وأنا أرى اليوم أن المجلس الوطني لا يبتعد كثيراً عن هذه الحقائق. ورغم أن الكثيرين من المعارضين السوريين وعلى رأسهم الدكتور غليون كانوا دائما ما يرددون بأنهم لن يعودوا إلى سوريا على دبابة أمريكية فإنهم اليوم يتنكرون لأقوالهم مثلما يتنكرون لتاريخ الولايات المتحدة الأسود في سجل حقوق الإنسان خارج حدودها وهو ما يبعث في نفوسنا بعض الريبة تجاه المستقبل القريب لهذا الوطن الذي عانى ما عاناه ليس لأجل أن يصل إلى الحكم أناس لم يعرفوا عن سوريا إلا ما يقرؤونه في صحف العالم أو عبر القنوات الفضائية.

سيحين وقت العمل قريباً جداً أما الكلام عن "اعتزال العمل السياسي بعد إسقاط النظام" أو "عدم الطمع في أي منصب بعد الثورة" فهو كلام للمتاجرة الإعلامية وهدفه الرئيسي التهرب من المسؤولية الخطيرة القادمة والملقاة على عبء كل المواطنين في سوريا.

إن وطننا اليوم في خطر كبير، وكل نقد يتم توجيهه للثورة أو الثائرين لا يعني أبداً تأييداً لنظام الاستبداد والطغيان، علينا أن نتخلص من حالة القطبية التي ستقضي على كل منجزات الثورة في المستقبل. من ليس معي فهو ضدي يعتبر من أسوء القواعد التي يمكن إتباعها أو تبنيها بين أفراد الوطن الواحد أو حتى بين الناس جميعاً. إننا إذ نتفهم ردة فعل المظلومين والمقهورين فإن علينا أن نكون على قدر من الوعي الذي يسبق ردات الفعل ويصقل ويوجه العمل الثوري البناء. أما الصياح فمكانه ملاعب الكرة أو الحدائق العامة ولا تبنى الأوطان برفع الصوت.

آخر الكلام: يقول الشاعر:

سلام على حاقد ثائر على لاحب من دم سائر
يسير ويعلم أن الطريق لا بد مفض إلى آخر

الجمعيات الأهلية في القانون السوري

■ ياسر مرزوق

الديمقراطية والمجتمع المدني صنوان لا يفترقان إذ لا ديمقراطية من دون جمعيات وتنظيمات وأحزاب أهلية، والعكس صحيح فوجود هذه الأحزاب والجمعيات والتنظيمات لا يتحقق من دون دولة ديمقراطية، يقول الفيلسوف كارل بوبر: "ترتكز الحضارة أساسا على تقليص العنف" وهذا، في رأيه، هو الهدف الرئيسي الذي ينبغي أن تسعى إليه الديمقراطية. ويشير إلى حرية الأشخاص غير مضمونة في المجتمع إلا بقدر ما يتخلى جميع الأشخاص عن استخدام العنف: "تتطلب دولة القانون اللاعنف الذي هو نواتها الأساسية". والمجتمع المدني هو الحاضن للكفاءات، وهو الهامش الأفضل لاستيعاب الطاقات الشابة وإبعادها عن مناخات العنف أو اللامبالاة، فيمكن للمواطن أن يحقق ما لا تستطيع الدول تحقيقه، والمجتمع المدني الضعيف والمعزول والمهمش والمحيّد يدفع الناس للاحتماء بانتماءاتها الطائفية والعشائرية والمذهبية. وحينما يكون قوياً، يكون الحاوية القادرة على استيعاب الولاءات والعصبيات ما قبل المدنية ودفعها لاندماج وطني أرقى استناداً إلى رابطة المواطنة.

ولعل الجمعيات الأهلية تعد أهم تكوينات المجتمع المدني. وتشكل جزءً هاماً منه، إلا أنها في سوريا لازالت تخضع في إنشائها وعملها ونشاطها للقانون رقم / 93 / لعام 1958 وتعديلاته. والذي يعد عائقاً في مواجهة المجتمع المدني، على عكس الهدف من تشريعه، وفي زاويتنا اليوم سنعرض للسلبيات في قانون الجمعيات، والذي يدور الحديث عن تعديل جذري لنصوصه قريباً، حيث أكدت الدكتورة "ريمه الحجار "مديرة الخدمات في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل أن الوزارة أنهت دراسة مسودة القانون الجديد للجمعيات، وكانت الوزارة عكفت منذ العام الماضي على الإعداد لمشروع قانون جديد للجمعيات بدل القانون الحالي، والذي كان على الدوام محط انتقادات كثيرة من الجمعيات لعجزه عن إعطاء الفعالية المطلوبة لها وفق ما كانت ترى فيه. وأشارت الحجار إلى أن مسودة القانون الجديد تحوي الكثير من النقاط التي ستعطي فضاءات واسعة لعمل الجمعيات إن كان على صعيد أنواعها أو نشاطاتها وستتشكل هيئة مستقلة لها تحت مسمى هيئة المنظمات غير الحكومية.

وكانت قد طرحت في وقت سابق العديد من وجهات النظر حول تسمية القانون الجديد ومن ضمنها قانون الجمعيات الأهلية وقانون المنظمات غير الحكومية، وحول مدى ملاءمة مسودة القانون لما جاء في الدستور الجديد حول الجمعيات وخاصة أن الوزارة قد باشرت الإعداد له قبل نحو عام فقد كشفت الحجار أن المسودة تراعي تماماً ما جاء في الدستور الجديد. وكانت المادة العاشرة في الدستور قد قالت إن "المنظمات الشعبية والنقابات المهنية والجمعيات الأهلية هيئات تضم المواطنين من أجل تطوير المجتمع" وأشارت المادة نفسها إلى منحها الاستقلالية وممارسة رقابتها الشعبية ومشاركتها في مختلف القطاعات والمجالس المحددة في القانون، يذكر أنه يوجد في سورية نحو 1400 جمعية أهلية.

لعل النقطة الأهم في تأسيس الجمعيات في سوريا هي التعقيد في إجراءات الحصول على الترخيص والشهر، ففي حين أن تأسيس جمعية أهلية في لبنان مثلاً يتم بإجراء منفرد من المؤسسين " علم وخبر للوزارة المختصة دون اشتراط موافقتها "

يتطلب الأمر في سوريا تعقيدات كثيرة لا يضمن استكمالها الحصول على الترخيص. تنص /المادة 10/ من قانون الجمعيات على أنه "يمكن للجمعية ممارسة عملها بعد مرور /60/، ستين يوماً على تقديم أوراقها. حتى إن لم يأتي الرد سلباً أو إيجاباً "، وهذه المادة معطلة فامتناع الوزارة عن القبول أو الرفض يعني قانوناً، أن الجمعية باتت مرخصة لكننا نجد أن هناك مادة أخرى تنص على أن من يمارس أي نشاط بدون ترخيص يعرض نفسه للسجن م-71 ف2. فالترخيص يخضع حكماً لموافقة الأجهزة الأمنية والوزارة ليست إلا جسراً يمر عبره طلب الترخيص ليمضي إلى مختلف الأجهزة والمؤسسات. علماً أنه لا توجد مادة في القانون تفيد أو توصي بموافقة أية جهة عدا الوزارة.

كما نصت المادة/11/ على أنه يمكن للجهة الإدارية رفض الشهر، وفي هذه الحالة يحق للمؤسسين التظلم إلى الجهة الإدارية المختصة، دون النص صراحة على حق اللجوء إلى القضاء إذا رفض التظلم.

وتتضمن المادة /36/ نصاً يسمح لوزير الشؤون الاجتماعية والعمل بإصدار قرار بحل الجمعية ويعتبر قراره قطعياً لا يقبل أي طريق من طرق الطعن أو المراجعة.، في تجاهل واضح لمفهوم العمل الأهلي وإعطاء الحل والعقد فيه للسلطة التنفيذية. كما تجاهلت هذه المادة الحق الدستوري باللجوء إلى القضاء، حين حصنت قرار الوزير من أي شكل من أشكال الطعن.

تسمح المادة /26/ للجهة الإدارية المختصة بأن تعين عضواً أو أكثر في مجلس إدارة الجمعية، والمادة /46/ بأن تقوم الجهة الإدارية بدمج الجمعيات ذات النفع العام أو تعديل أغراضها تبعاً لاحتياجات البيئة بقصد تحقيق التناسق في الخدمات، وكأن هذه الجمعيات تابعة للجهة الإدارية وليست هيئات مستقلة.

تنص المادة /47/ على حق هذه الجهة أو الجهات باستبعاد من تريد من الترشيح للهيئات التنفيذية أو تعيين مجلس إدارة مؤقت حسب المادة /48/ يتولى الاختصاصات إذا رأت بعض المخالفات.

كذلك منع الجمعية من الحصول على الهبات والإعانات والتبرعات، وأيضا منعها من الحصول على أي تمويل لا يمر عبر أقنية وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، كذلك منعها من الاتصال بجمعيات في الخارج تعنى بذات الشأن، إلا بعد موافقة السلطة المختصة الكتابية

في المادة 24 – فقرة ب: "لوزارة الشؤون الاجتماعية حق دمج الجمعيات المتشابهة... "، المادة 26 الفقرة 2: "للجهة الإدارية المختصة أن تعين بقرار منها عضو أو أكثر في مجلس إدارة الجمعية... ".

الفصل الرابع – المادة 36 – الفقرة أ – البند السابع: "يجوز بقرار مسبب من وزير الشؤون الاجتماعية حل الجمعية، إذا رأت الوزارة عدم الحاجة إلى خدمات الجمعية".

من خلال قراءة سريعة للنصوص الوارد ذكرها أعلاه نجد أن القانون أعطى صلاحيات واسعة للسلطة التنفيذية ليس فقط في تأسيس الجمعيات، بل في دمجها وحلها في تجاهل تام لإرادة الأعضاء، كما عمد إلى تجفيف المنابع المالية للعمل الأهلي القائم على التبرعات والهبات، كما يتعامل القانون مع الجمعيات كمؤسسات للقطاع العام عليها إثبات كفاءتها تحت طائلة الحل، مع أن مجرد وجود تنظيم مجتمعي لعدد معين من الأشخاص هو غاية بذاته، حتى لو عجز هذا الجمع عن تقديم خدمات للمجتمع.

أما بخصوص اللائحة التنفيذية لقانون الجمعيات والمؤسسات الخاصة، المنصوص المطبق بالقرار 93 لعام 1958 فقد ورد ما يلي:

الباب الأول: شهر الجمعيات – المادة 6: "تقوم مديرية الشؤون بدراسة الطلب، وبإجراء تحقيق عن المؤسسين عن طريق دائرة الأمن العام... "، وهكذا تخضع الجمعيات منذ تأسيسها للعرقلة والتحقيقات الأمنية، وهو ما يجب ألا يكون. ويمكن الاكتفاء بدراسة الأوراق الثبوتية المقدمة للمؤسسين وكفاءاتهم وسلوكهم، ويجب الاعتماد على وثيقة الصحيفة العدلية للمؤسس للتثبت من خلوها من الأحكام القضائية فقط، دون اللجوء لفروع الأمن واستشارتها.

في القرار /5157/2، وتحت عنوان اختصاصات المكتب التنفيذي. إن هذا القرار والتعديل خوّل المكتب التنفيذي وهيئات الإدارة المحلية الموافقة أو الرفض ودراسة الطلبات ثم رفعها إلى الوزارة المختصة... الخ. وفي هذا خروج عن الهدف الحقيقي للجمعيات، وخضوعها خضوعاً تاما للسلطات التنفيذية، ناهيك عن الأساليب البيروقراطية في التعامل، والمراسلات وما يتطلبه الإشهار عندئذ.

التعليمات الواردة تحت رقم 9/د/62 تاريخ 1974/8/8. هي أيضاً تسير في نفس المنحى بوضع العراقيل أمام الترخيص مثلاً: طلب إلى المديرية ثم دوائر الأمن ثم وزارة الداخلية، ويعود الجواب إلى المكتب التنفيذي ثم وزارة الشؤون. وهذا ينطبق أيضاً على الجمعيات المؤسسة فقط للعمل في محافظة معينة. إن هذه الإجراءات تعرقل العمل وتؤخره خاصة وأنه يحق للمكتب التنفيذي الاعتراض والتدخل والتعديل، ثم في حال الرفض وإبداء التظلم يبت المكتب التنفيذي بقرار التظلم. كيف يكون ذلك، وربما كان المكتب التنفيذي نفسه هو الجهة المخاصمة.

في التعليمات السابقة نفسها، البند 14، الفقرة 1و2و3: يحق للمكتب التنفيذي رفض طلب الشهر للجمعيات ذات الأهداف المتماثلة مع أهداف المنظمات الشعبية. كيف يكون ذلك، لماذا حصر العمل في هذه المجالات بالمنظمات الشعبية فقط إن وجود جمعيات أهلية ولو كانت متماثلة الأهداف ينشط العمل، ويجعله قابلاً للمنافسة وتبادل الخبرات، والتصحيح، ويشمل كافة قطاعات الوطن وأينما كان. وأخيراً ورد فقرة تقول بعدم شهر أي جمعيات نسائية عملاً بالمرسوم 121 لعام 1970 وآخر الحد من شهر جمعيات البر (المساعدة) وتمركز هذه الجمعيات على ضوء خطة الوزارة وحاجة المنطقة.

إن هذه التعليمات التنفيذية التي، نقلتها عن "موقع نساء سوريا" لهي بحق شهادة عن الواقع التشريعي في سوريا، فالدارس للقانون يتعامل مع النصوص القانونية في معرض تقييمها ونقدها، سنده في ذلك النص القانوني الصادر عن السلطة التشريعية، وفي هذه الحالة يظهر الخلل الواضح في قانون الجمعيات، لكن السلطة التنفيذية لم تكتف بالثغرات الموضوعية الواردة في متن القانون، والكافية وحدها لإجهاض أي تأسيس لجمعية وفق الشروط المعترف بها قانونا، بل ألحقته بتعليمات تنفيذية تحول الجمعية في حال ترخيصها إلى تابع للسلطة التنفيذية، مخالفة بذلك لروح العمل الأهلي والمجتمع المدني.

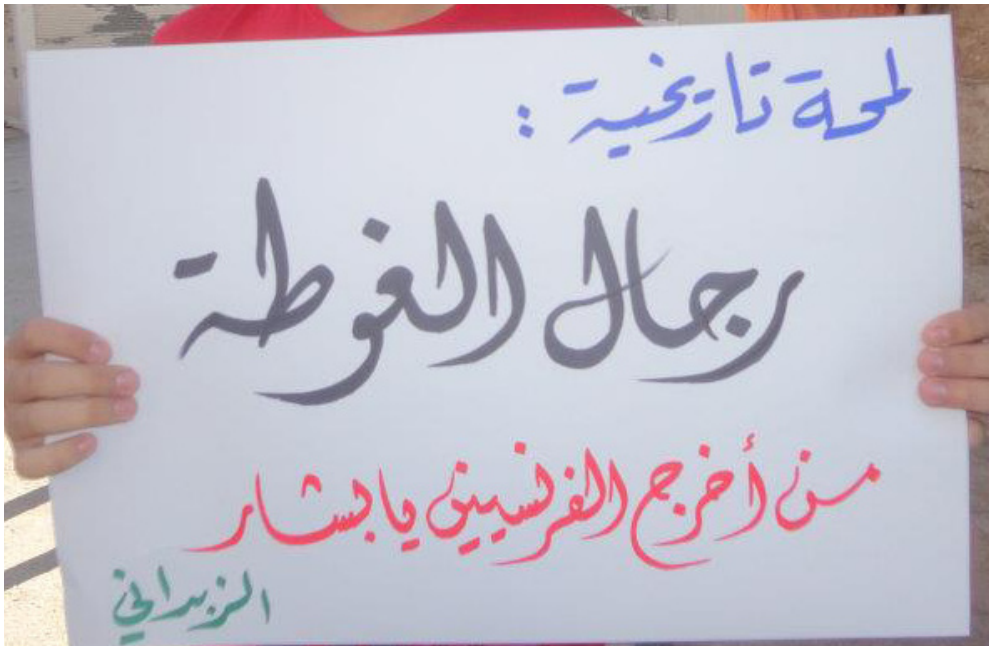

الجندي المجهول

■ سالي حمارنة

"لا تقتل أخاك لا تقصف بيت جارك... ارفض الأوامر بالقصف والقتل"

نقولها ليل نهار.. ونرسم أجمل اللوحات ونخططها.. ولكن:

أمامك حلان إما أن تعدم ميدانياً أو تهرب.

أُعدمت؟ اللّه يرحمك.. أمامك حلان:

إما أن تصبح رقما من الجثث في البرادات أو تحت تراب سوري في مكان ما... مجهول الهوية لتصل عليك وحوش البراري فتكون أرحم عليك من قاتليك..

أو تسلم لأهلك ويستفيد منك قاتلك ليلقي بالتّهمة على أخيك الذي قُتلت لأجله... ليقتله غيرك انتقاما لك على حدّ علمه..

استطعت الهروب حيّا؟.. أمامك حلان:

إما أن تهرب دون سلاح وتلجأ إلى أهلك.. أن بقوا على قيد الحياة بعد انشقاقك... أو أن لم يبق لك أهل تلجأ إلى إحدى العائلات التي تفتح أبوابها لك.. عارفا أن الوحش قد يستغل وجودك ليصرّح أن الموت والتنكيل والتعذيب نصيب كل من يساعد أخاً أو يؤويه.. الموت لكل من يرفع رأسه بعيداً عن مشورة الطاغية..

أو تنشقّ حاملا معك سلاحك وتسهر على حماية العائلات الآمنة والتي لم تملك ولم تحمل السلاح يوما في حياتها.. من غيرك يحميها؟ و أنت الذي انشققت عن الطاغية في الأساس لحمايتهم..

أخي المنشقّ.. يا أطهر الطّاهرين.. يا من رفضت قتل أهلي وخاطرت بحياتك لحمايتهم.. سامحني لأني خفت منك... سامحني ولو ساويتك لثوان بالمجرمين... صدقك مع نفسك ومع إنسانيتك كان أصعب من أن افهمه أمام سيول الدماء التي أعمتني..

لا تهمّني التسميات.. ولا تهمني الصفات.. ثرنا على الألقاب والقوالب والأحكام المسبقة.. لا لنظلم أصدق الناس.. ونرميهم بأخطاء غيرهم ونصلبهم عليها.. "الإنسان" يمثلني.. في أي موقع وتحت أي مسمّى.. وأجمل تعاريف الإنسانية لطالما خططتموها عل مرّ التاريخ..

ولأني كلي ثقة بك.. وبإنسانيتك..

أثق بأنّك لن تعير سلاحك لغاضب مجروح..

أثق بأنك تقاتل لتحمي طفولة أولادي وأولادك وأولاد من قضوا تحت تراب البلد، أثق بأنك ستبعد السلاح عن أناملهم الغضّة..

أثق بحمايتك لأخيك أياً كان انتماؤه الديني أو المناطقي أو ما شاءوا من تسميات اخترعوها ليفرقونا على أساسها. تبقى أنت الجامع.. أنت الذي خدمت تحت علم وطنك بعيداً عن الألوان.. سوريا هي الأبيض الذي يضمها كلها..

هو أعلنها حرباً على شعبه حتى يموت.. وأنتم أعلنتم الحياة خياركم.. ولو من بعدكم..

من يستغل اسمكم سيستغلّ اسمي.. ومن يستغلّ موتكم سيستغل موتي..

أنتم الذي لطالما مجّدناه ولم نعرفه يوماً.. الجندي المجهول..

سوريا الجديدة وحكاية مدينتين

■ غالية قباني

جاءت الانتفاضة لتذكرنا ببعض الحقائق التي كانت خافية على الشعب السوري لأنه غيّب عنها لمصلحة واقع وحيد يقول إن النظام هو الموجود والمعبود، وإن وجوده يجبُ كل المكونات الأخرى في بلد اسمه سورية، حتى ما عاد أي طرف يرى الآخر إلا من خلال النظر إلى الأعلى، حيث السلطة هي المركز التي تنظم حركة مرور الأفراد والمجموعات بين بعضها بعضا. لا عجب إذاً، أن نرى السوريين يعلنون كل يوم عن تجمع جديد، فقد بدأوا يعيدون اكتشاف مكوناتهم على اختلافها بعد أن خبا تحكم المركز.

ستة عشر شهراً منذ بدأت انتفاضة الشعب السوري ولم يتبق مكون من مكوناتها تقريباً لم يتشكل ويعلن عن نفسه في الإعلام أو في الملتقيات. هذه المكونات المتعددة تنتمي أساساً إلى بلادٍ كانت وسيط مرور لقوافل التجارة والحج واللجوء، وللعابرين بحثاً عن الكلأ والأمان وهرباً من القحط والجوع والإبادة، عشائر بدوية وتركمانية وغجر، شيشان وشركس وأرمن وأرناؤوط وبوشناق، كلها أضافت لسكان البلاد الأصليين كرداً وسريانا وعرباً وانعكس تنوعها على سحنة السوريين ومطبخهم ومجمل ثقافتهم. تعايشت هذه المكونات وأغنت حضارة شرق المتوسط، بل وجعلت اثنتين من كبرى مدنها أقدم مدينتين مأهولتين في العالم، وهذا دليل التسامح والتعايش بين مكونات شعوب المنطقة.

إلا أن وبدءاً من حقبة الاستبداد المحلي المقيم في الستينات ومع مجيء البعث الذي توّج بالحركة التصحيحية، لم يعد الحوار ممكناً بين تلك المكونات إلا عبر النظام نفسه الذي دفع إلى خفوت تدريجي للمجتمع المدني والدولة الوطنية الحديثة، من أجل تأسيس دولته مستبدة. من هنا، نتفهم محاولة إعلان الفئات السورية عن نفسها عالياً في هذه المرحلة، فالسوريون في حاجة إلى «الفضفضة» للكشف عمّا كان يعسّ تحت الرماد، الذي شارك النظام في إسكاته بعض المعارضين والمثقفين بحجة أن الظرف غير مناسب لفتح جدل حول قضايا مثل التمييز القومي والطائفي، واعتبروها «تابوهات» يؤدي الحديث فيها إلى انفراط المجتمع وخدمة الصهيونية والإمبريالية العالمية!

عندما أخبرت ناشطاً دمشقياً عن تجمع دمشقي سيلتقي في اسطنبول لمناقشة شؤون مدينته ومستقبلها، لم يندهش، بل بدأ يحكي عن دمشق التي خربت ملامحها القديمة منذ تسلم حزب البعث السلطة، وبدءاً من فتح أتوستراد شارع الثورة أواخر ستينات القرن الماضي الذي تمّ على حساب أحياء عريقة حضنت عائلات دمشقية عريقة وحملت ذاكرة دمشق المعمارية والثقافية. واستمر الهدم لحساب مشاريع استثمارية شتتت أهالي الأحياء نحو الريف المجاور أو نحو المهاجر، بعيداً أيضاً من هجمة نزوح مكثف من خارج دمشق لملء وظائف الحكم الجديد بأمنه وعسكره، وما تبعه من نزوح أقاربهم ومعارفهم آخرين بحثاً عن فرص عمل خارج قراهم المهملة غير المطورة أو المخدومة بالمرافق الأساسية. ويرى أهالي دمشق الشوام (كما يسميهم السوريون)، أن مدينتهم اغتصبت وتغيرت جغرافيتها وتركيبتها السكانية بصورة مقصودة، حتى إنه لم ينتج عن نشاط جمعية «أصدقاء دمشق القديمة» ولا عن مواقف المثقفين بمقالاتهم وأشرطتهم التسجيلية، أي تأثير يذكر، وهي تتصدى لتغيير معالم المدينة بالنداءات والاحتجاجات على منع هدم أحياء تشكل ذاكرة أقدم عاصمة في العالم. في الحقيقة لقد تمّ التعامل مع دمشق كمدينة محتلة حوّلها الغزاة إلى مدينة تشبههم، فأنجزوا قطيعة مع تاريخها الذي يذكرهم بحقيقة أنها ليست لهم ولم يساهموا في تشكيلها والأفضل أن يتم استبعاد سكانها الأصليين لكي يضعوا أيديهم على دمشق أخرى تشبههم، وهو أمر يماثل ما يفعله الإسرائيليون في فلسطين ومدنها العريقة وهم يعيدون بناء ذاكرة جديدة ترتبط بالمستوطنين الغزاة لا بتركيبة سكانية حضارية متنوعة دينياً واجتماعياً على مرّ التاريخ. وللتنويه فقط، فإن الحالة هنا تختلف عن النزوح التقليدي الذي كان يتم بصورة طبيعية من الريف والبادية إلى المدن. إن استيطان المدن تاريخيا تمّ باندماج الآتين في نسيجها السكاني والثقافي فلم تطغ ثقافة الهوامش على الثقافة المدينية الحضارية التي تراكمت عبر القرون. لكن العكس حصل مع غزوة العسكر في سورية، وهو أمر له شبيهه في ليبيا، وفي العراق أيضاً حيث يتحدث العراقيون عن تأثير سلبي مشابه في مدينة بغداد وثقافتها.

أما مثالي الآخر للتجمعات التي تتأسس من بعد اندلاع الانتفاضة السورية، فهو مؤتمر لمدينة الحسكة بريفها ومدينتها، أراد أطرافها المشاركون لفت الانتباه إلى محافظتهم التي يقولون إنها كانت الأكثر ظلما بين المحافظات السورية على رغم أنها كانت الأكثر غنى بسبب غلتها الزراعية (قبل القحط وسوء السياسات المطبقة)، وبسبب حضور كل المكونات السورية فيها: أشوريون، أكراد، أرمن، عرب، مسيحيون، مسلمون، عشائر، إلخ. من هنا، يرى أهل الحسكة أن محافظتهم يمكن أن تشكل نموذجاً مثالياً لسورية الحديثة المتعايشة.

يتحرك السوريون اليوم في مكونات مختلفة خارج مصطلح المعارضة المباشرة، ويلتقون في مؤتمرات واجتماعات يتناقشون فيها حول المسكوت عنه بعد أن اضطروا إلى الانكفاء بعيداً من السياسة التي كانت حكراً على قائد أوحد، ويريدون اليوم أن يساهموا في صنع مستقبل جديد للبلاد. وإن كنت قد أشرت إلى مثلين فقط من حراك المشهد السوري، إلا أن لكل مدينة وبلدة وقرية سورية قصتها، وربما أنه من الأفضل أن تتم لملمة هذه القصص على مستوى كل محافظة بمكوناتها العرقية والدينية، واقتراح رؤيا سياسية اقتصادية اجتماعية لمستقبلها القريب تصبّ كلها بالطبع في الدولة السورية المقبلة، المبنية بالضرورة على أساس ديموقراطي مدني وتعددي، وهو ما خرج الناس من أجل المطالبة به ودفعوا دماءهم ثمناً له بصورة لم يعرفها العالم منذ زمن بعيد.

عن الحياة اللندنية 26 / 6 / 2012

إلى مصور بابا عمرو.. الشهيد أحمد حمادة..

■ سعاد يوسف

لطالما تساءلت بيني وبين نفسي: «ما هو إحساس الإنسان في آخر لحظات حياته؟ هل تتراءى له صور ما؟ ماهو الصراع الذي يمكن لعقله وقلبه أن يخوضاه، وهو يعلم أن ما يفصله عن الموت أجزاء من الثانية لا أكثر؟

هل يتمسك بالحياة في محاولة أخيرة منه للعودة إليها؟ أم أنه يطلق لروحه العنان كي تسافر إلى مكان لا يعلمه؟»

وبالطبع، لم أعرف يوماً الإجابة عن أي من هذه الأسئلة...

وأنت اليوم يا أحمد، أعدت إلي هذه الأسئلة، وغيرها، بزخم أكبر...

فمنذ اللحظة التي شاهدت فيها ذلك الفيديو بعنوان «شهيد يصور لحظة استشهاده... أحمد حمادة»، وأنا لا أنفك أسأل نفسي مئات الأسئلة...

ألم تر الرصاصة متجهة نحوك؟ ألم تسمع صوتها قبل أن تدخل كتفك وتخرج من قلبك لتنهي حياتك؟ ألم تستطع الابتعاد عنها ولو قليلاً؟

وكاميرتك؟ ألم ينتبها أي إحساس بأنها اللحظة الأخيرة لها بين يديك؟ هل علمت ما حدث؟ وتلك الزجاجة المكسورة التي وقعت أرضاً؟ ألم تكن آخر ما وقعت عليه عيناك؟ هل علمت هي الأخرى بذلك؟ أم أنها ظنت بأنك تعبت من رؤية كل ذلك الدمار، فقررت أن تستريح قليلاً؟

في وطني، لا نكتفي بأن نموت بالعشرات كل يوم... لا نكتفي بالسقوط جرحى نساءً ورجالاً، أطفالاً وشيوخاً... بل إننا نوثق موتنا بأنفسنا... بعدسات كاميراتنا... بأقلامنا... وبأنفاسنا التي تصل حتى أعتاب الموت، فتلقي عليه التحية لتدخل الجنة من أوسع أبوابها...

تراتيل الفرات

■ صبحي حديدي

كانت الأخبار تتوالى عن عمليات القصف الوحشي الذي تتعرّض له أحياء مدينة دير الزور: الموظفين، والجبيلة، والعرضي، والقصور، والجورة، والحميدية، والعرفي (حيث تعرّض مسجد الحيّ، ومئذنته خاصة، لأضرار جسيمة جرّاء القصف). كذلك كانت أسماء الشهداء تتعاقب، حيث سقط أكثر من 60 شهيداً خلال 24 ساعة فقط، ممّا يرفع عدد أبناء المدينة الذين استُشهدوا، منذ انطلاقة الانتفاضة في أواسط آذار (مارس) 2011، إلى قرابة الـ 600، بين شيخ وامرأة وطفل ورجل. ولأنّ جيش النظام اضطُرّ إلى إعادة الانتشار خارج المدينة، وخارج بلدات رئيسية أخرى في المحافظة، مثل الميادين والعشارة والبوكمال والبصيرة؛ فإنّ القصف عن بُعد، باستخدام المدفعية وراجمات صواريخ وأسلحة ثقيلة أخرى، صار خيار النظام الأسهل، وربما الوحيد.

مناطق عديدة في سورية شهدت تطبيقاً عملياً لسلسلة الأسباب التي تجعل حقد النظام على منطقة ما، وعلى أهلها استطراداً، يتجلى على نحو أشدّ سعاراً وعصبية وهمجية أيضاً، في تحصيل الحاصل؛ لاعتبارات شتى، سياسية في المقام الأوّل، ولكنها يمكن أن تتخذ صفة انتقامية محضة (حماة، وحمص، وجسر الشغور، واللاذقية، والحفّة، وتلبيسة، والحولة، والصنمين، وإنخل...). ولكنّ الحقد هنا يتجاوز الأسباب والاعتبارات، القديمة مثل الجديدة، والفعلية مثل المتخيَّلة، لكي ينقلب إلى حال مرضية يمتزج في طياتها الخوف من المكان في ذاته، والرغبة في تدمير رموزه، ثمّ ـ للمفارقة العجيبة ـ اعتبار أنقاضه بمثابة علامة مضادّة تبعث في القاتل حسّ الانتصار على القتيل، والأمل بالنجاة من العقاب!

والمرء يتذكّر أنه، منذ الشهر الرابع في عمر الانتفاضة، كان 'الديريون' ـ كما يحبّون، ونحبّ في سورية، تسميتهم ـ قد أدخلوا جديداً على أنساق التظاهر، أسهم في تطوير مهارات الالتفاف على أساليب العنف الوحشية التي اعتمدتها أجهزة النظام الأمنية لقهر الحراك الشعبي، من جهة أولى؛ ونفع، كما برهنت الأسابيع اللاحقة، في اجتذاب المزيد من شرائح المواطنين الذين تردّدوا في المشاركة، من جهة ثانية. ذلك الجديد كان تنظيم تظاهرة مائية على صفحة نهر الفرات، سباحة أو بقوارب صغيرة، تردّد الهتافات ذاتها تقريباً؛ كما ترفع لافتات مماثلة لتلك التي ترفعها التظاهرات على اليابسة، إذا جاز القول، مع تنويعات طريفة ومؤثّرة، مثل هذه الأشهر مثلاً: 'نهر الفرات يصبّ في نهر العاصي'!

كأنّ خروج الديريين إلى الشوارع الرئيسية والساحات العامة، بأعداد تجاوزت 250 ألف متظاهر في 'جمعة أسرى الحرّية'، لم يشفِ غليلهم إلى إسماع صوت الاحتجاج العميق، فطافوا فوق مياه الفرات، وطوّفوا على صفحته الرايات. وكيف كان سيفوتهم أن يلتمسوا عبقرية هذا النهر العظيم الخالد، في هذه البرهة الفريدة من تاريخ المدينة والوطن، وهم حَمَلة اللقب الشهير 'أخوة بطّة'، نسبةً إلى براعة في السباحة يتلقونها منذ نعومة أظفارهم، تماماً كما تفعل أفراخ البطّ! وحين سيصبح لقب 'البطة' مرذولاً في معجم الانتفاضة الوليد، بعد افتضاح الرسائل الإلكترونية الشخصية لرأس النظام، وجد شباب دير الزور غصّة، وعناء خاصاً، في فرض التمييز بين بطّة القاتل وبطة الثائر!

وهكذا صارت ساحة 'دوّار المدلجي' في مدينة دير الزور تتمة رمزية، وامتداداً جغرافياً طبيعياً، لساحة العاصي في مدينة حماة، فولدت توأمة تلقائية بين مدينتين تشاركتا في بلوغ ذلك الرقم الذهبي الذي انتظرته سورية منذ انطلاقة الانتفاضة، وارتعدت له فرائص أجهزة النظام: مليون متظاهر، في نهار واحد. وكما ذاقت حماة أفانين وحشية النظام في مطلع الثمانينيات، وظلت تشهد المزيد يوماً بعد يوم خلال أسابيع الانتفاضة؛ كذلك شهدت دير الزور بعض تلك الأفانين في الحقبة إياها، وصارت تشهدها بعدئذ، أسوة بجميع المحافظات السورية.

أخذ الشهداء يتساقطون، يوماً بعد يوم، وفي عدادهم خرّ الوليد والرضيع والطفل؛ ودُمّرت المجمعات السكانية من الكهرباء والماء والهاتف والإنترنت، وأُغلقت المدارس والكليات الجامعية، وعُطّلت الامتحانات؛ ومُنع المواطنون من عبور الجسور، وما أكثرها على النهر الخالد، لإعاقة التحاقهم بالتظاهرات؛ وأُحرقت سجلاّت في دوائر الأحوال المدنية، للإيحاء بأنّ وجود المواطن ذاته يمكن أن يُطمس نهائياً؛ كما ذهبت الأجهزة شوطاً أبعد في التخريب بهدف التحريض الطائفي، فلجأت إلى إحراق كنيسة عتيقة في البوكمال، ونسبت الفعل إلى المتظاهرين!

وفي هذه الأيام، حيث تصلني أخبار دير الزور (أنا الديري عن أمّ وأب، حتى إذا كانت مدينة القامشلي هي مسقط رأسي)، أقلّب المشاعر بين قلق شديد على أبناء المحافظة، وفخار أشدّ إزاء ما اجترحه ويجترحه الديريون في قلب الانتفاضة. أتأمل، باعتزاز بالغ أيضاً، مقدار المشقة التي يبذلها أهلنا هناك في الصبر على الجرح المفتوح، والمصابرة على إهانة وجهها إليهم النظام مؤخراً، وتمثلت في تسمية رياض حجاب، الديري، رئيساً للوزارة. أقلّب المشاعر حول دير الزور، إذاً، ليس دون نسيان تلك الأهزوجة الجميلة التي ردّدتها طفلة لم تتجاوز العاشرة كما أرجّح، خلال اعتصام حاشد في دوّار المدلجي ذاته: 'مجروح يا يمّة/ مجروح يا يابا/ ودّوا لحماة من الدير/ موّال عتابا'.

لكنّ مواويل الانتفاضة السورية لا تتنقّل بين نهر وبحر، ومدينة وبلدة، وجبل وسهل، وواحة وبيداء، فحسب؛ بل ترتّل الماضي في الحاضر، لكي تستشرف المستقبل، وتصنع التاريخ.

عن القدس العربي 24 / 6 / 2012

خرافة الصراع الطائفي في سوريا

■ منذر خدام

رغم كل الأعراض الطائفية التي برزت في سياق انتفاضة الشعب السوري في سبيل حريته وكرامته وبناء نظام ديمقراطي بديل لنظام الاستبداد القائم، فإن الصراع الطائفي ليس خيارا واقعيا، وبالتالي فإن تقسيم سوريا إلى دويلات طائفية لن يحصل. يؤكد ما ذهبنا إليه مجريات الأحداث على الأرض، خصوصا مجريات الأحداث في منطقة الحفة وجوارها في ريف اللاذقية. الصراع الطائفي في سوريا لم يخرج عن نطاق الخطاب الإعلامي والسياسي النخبوي إلا بحدود ضيقة جدا، أما على الأرض فالمسألة مختلفة كثيرا. لقد استغل النظام واقعة كون أغلب المشاركين في الثورة هم من السنة لكي يؤسس لخطاب طائفي تجاه الأقليات يخوفها من البديل القادم، من أجل أن يكسبها إلى صفه، وقد حقق بعض النجاح في البداية، لكن مع استمرار النظام في خياره العسكري الأمني وعدم القبول الجدي بفتح أي خيار سياسي تفاوضي لإنهاء الأزمة، خصوصا بعد أن تسببت حربه المجنونة على شعبه في سقوط آلاف الشهداء من العسكريين وعناصر الأمن، وغالبيتهم من الطائفة العلوية، بدأ مزاج الطائفة العلوية يتغير بعض الشيء تجاه دعم النظام.

لقد صار نقد العلويين للنظام مسموعا في كل مكان في ريف اللاذقية، حيث انتشارهم الرئيسي، وذلك مع تزايد سقوط القتلى من أبنائهم في معارك ليست معاركهم، وقد برز تغير مزاجهم تجاه النظام بصورة واضحة من خلال الأحداث التي جرت في الحفة. فمن المعلوم أن مدينة الحفة تمثل جيبا تحيط به قرى علوية من جميع الجهات تقريبا، وقد خشي كثيرون من حدوث صراع طائفي فيها، يمكن أن يفجر مجمل الأوضاع في الساحل السوري، غير أن الوقائع على الأرض قد كذبت مقولة الصراع الطائفي في سوريا. لقد أسهم كثير من العلويين في تأمين خروج المدنيين من المدينة، واحتضنت أسر علوية عديدة في مدينة اللاذقية مئات الأسر التي فرت من منطقة الاشتباكات، واقتسمت معها كل شيء من لقمة الأكل إلى السكن إلى الحلم بإسقاط النظام.

وفي الجهة المقابلة، لم يعرف عن المسلحين الذين سيطروا على المدينة وهم في غالبيتهم العظمى من سكانها أن اعتدوا على أحد من العلويين، حتى من أنصار النظام والبعثيين المسلحين الذين كانوا في مقر الحزب أو في المؤسسات الحكومية، سمحوا للجميع بالخروج، وكان خطابهم لهم وكذلك لسكان القرى التي مروا بها عند دخولهم الحفة «إننا لسنا في صراع معكم، بل مع النظام الذي يستعبدنا نحن وإياكم».

ومن اللافت أن بعض مشايخ العلويين الذين كانوا يتخوفون من حصول اقتتال طائفي بين العلويين والسنة في المنطقة بدفع من بعض أتباع النظام قد أسهموا في منع ذلك من خلال جولات قاموا بها على القرى المجاورة لمدينة الحفة واجتمعوا خلالها مع أهلها ودعوهم لعدم الانجرار إلى أي صراع طائفي مع جيرانهم. ومن الحوادث التي تروى اليوم على كل لسان في المنطقة وخارجها، والتي تكشف في مغزاها القضية برمتها، أن المسلحين طلبوا من أحد أسراهم أن يتصل بوالدته ويخبرها بأنه أسر اثنين من الإرهابيين ويسألها النصح في ما يجب عمله بهما، فجواب الأم سوف ينفذونه عليه. فجاء جواب الأم قاطعا بأن عليه أن يتركهما، لأن لهما أهلا وأمهات، وقد يكون لديهما أبناء، فما كان من المسلحين إلا أن أخلوا سبيله طالبين منه أن يوصل سلامهم إليها. لقد شكل التضامن بين العلويين والسنة في منطقة الحفة درسا في الوطنية السورية سوف تذكره وتتعلم منه الأجيال القادمة.

هذه هي الوقائع على الأرض، رغم ما يعكرها بين الحين والآخر من الحوادث الفردية غير الواعية، لتجيء من ثم لقاءات المعارضة السورية في القاهرة والاتفاقات المهمة التي توصلت إليها اللجنة التحضيرية للمؤتمر المزمع عقده في القاهرة بتاريخ 2 و3/7/2012 لتدعم هذه الوقائع. لقد اتفق المجتمعون في القاهرة على أن الدولة التي ينشدونها سوف تكون دولة مدنية ديمقراطية، يتساوى فيها المواطنون أمام القانون بغض النظر عن الدين والمذهب والجنس والعرق. وأكثر من ذلك فقد تم النص على المساواة التامة بين الرجل والمرأة في كل شيء، وعلى حق المرأة في تبوؤ جميع المناصب في الدولة بما فيها منصب رئيس الجمهورية. لم يرد في الوثائق الثلاث التي سوف تقدم إلى مؤتمر المعارضة القادم ما يشير إلى أي اعتبارات طائفية أو مذهبية يمكن أن تلحظ سواء على مستوى بناء النظام السياسي أو على صعيد الدولة المنشودة.

إن الوقائع على الأرض، إضافة إلى ما اتفقت عليه المعارضة السورية بكل أطيافها في القاهرة، سوف تشكل إعاقة جدية لجميع المشاريع الخارجية التي تدعو إلى اعتماد النظام السياسي الطائفي وفق النموذج اللبناني أو العراقي أو البوسني، بذريعة حماية الأقليات والمساواة بينها.

باختصار، الصراع في سوريا ليس صراعا بين طوائف أو مذاهب أو مكونات عرقية، وإنما صراع سياسي ساخن بين النظام وأجهزته العسكرية والأمنية (وهي مكونة من جميع طوائف سوريا وإثنياتها)، وبين المسلحين الذين انشقوا عن قوات النظام، والمسلحين المحليين الذين أرغموا على حمل السلاح دفاعا عن أنفسهم وأهلهم، إلى جانب مجموعات مسلحة مختلفة لا تُعرف لها هوية محددة بدأت في الظهور والانتشار مؤخرا في جميع مناطق سوريا، وهي أيضا من جميع طوائف سوريا وإثنياتها.

الشرق الأوسط اللندنية 29 / 6 / 2012

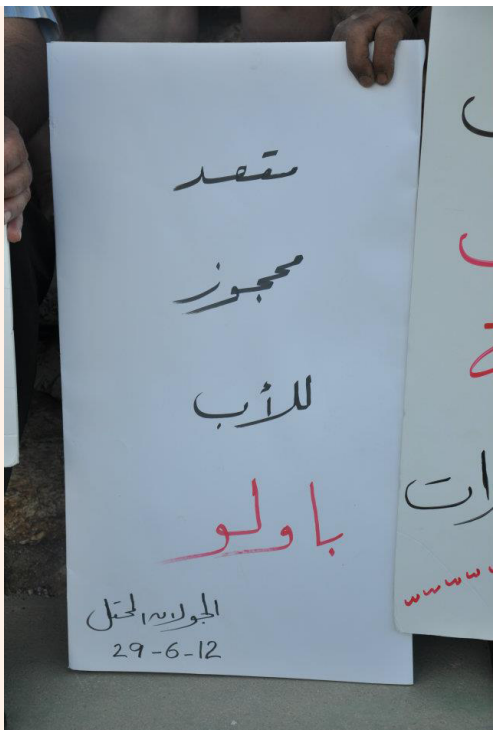

كثر اللغط حول المسالة الطائفية في سوريا.. الأمر الذي يقتضي التساؤل فيما إذا كانت النظرة إليها باعتبارها مسألة دينية صرفة، أم بما هي شأن سياسي ؟!.. وفي هذا السياق لا بد من العودة إلى مفهوم الإيمان القائم على فوقية القدرة الكلية الخالية من أي عوز؛ فلا تحتاج بالمطلق إلى الآخر أو إلى الغير.. لذلك وفي إطار ما هو حسي من تلك العلاقة بين المؤمن ومعبوده يكون المعتقد الديني حاجة ملموسة إلى ترتيب وتنظيم شؤون الكينونة المادية؛ أي هو مصلحة أو منفعة مادية للمؤمنين.. بعيدا من أن يكون مجرد الظاهرة القدسية، بما هو غرض شخصي؛ أي ليس هو الرابطة الجامعة للناس خارج إطار المصلحة الذاتية الضيقة.

وعلى هذا الأساس يجب أن يكون التعامل مع المعتقد الديني من منطلق القبول والتكيف؛ وصولا إلى التكامل والانسجام.. أي إلى الوحدة الاجتماعية؛ وليس إلى الرفض والتنافر؛ وصولا إلى التفاضل والتفكك أو التمزق.. أي أن يكون الصراع والقتل.. بلى ! يجب أن تقوم العلاقات الاجتماعية انطلاقا من تحريم التفريق بين الناس على أساس الدين أو العرق أو الجنس أو أي اعتبار آخر غير طبيعي.. كذلك هي شرعة حقوق الإنسان، وما إلى ذلك من مبادئ وقيم إنسانية أو من معاهدات ومواثيق وقوانين ناظمة للعلاقات بين الناس على الصعيدين الدولي والوطني..

إن رفض الآخر أو أن يكون التعامل معه على أساس ديني أو عقائدي.. إنما يعيد الأمور إلى جاهلية " النظام الشمولي " الذي يضع الأغلبية الساحقة من النسيج الاجتماعي في " سلة المهملات " استنادا للعقيدة المقدسة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.. بلى !. إن التعامل مع الناس على أساس المقدس يضع الأغلبية الساحقة في " سلة المهملات ".. إن لم نقل استخدامهم كمطايا للركوب.. فلندع العامل الديني خارج أي تجاذب أو استقطاب سياسي، إن كان ثمة الصدق في أي دعوة إلى الحق والخير والعدل.. إلى الحرية والعدالة والمساواة والكرامة؛ ومما لا شك فيه أنه لا يحق للذي ينطلق من موقف طائفي أو ديني أن يدين الآخر على هذا الأساس؛ مع التأكيد على أن مثل هذا الموقف لن يكون إلا في خدمة الباطل.

محمد ديوب | فيسبوك

الطفل الذي رمى مراسل الفضائية السورية بحذائه

■ خطيب بدلة

شهد الشهرُ السادسُ من سنة 2012، وهو الشهرُ الخامس عشر على بدء الأحداث الدامية في سورية، المتضمنُ الذكرى الخامسة والأربعين للتخلي عن الجولان (في حزيران 1967)، أحداثاً على قدر كبير من الأهمية، والحساسية، والطرافة، والفكاهة، والروعة..

ففي الثاني منه لمع نجم الإعلامي السوري الحلبي "شادي حلوة"، مراسل الفضائية السورية الشجاع، لمعة عالمية..

فمع أن أهل الحل والربط والتعيين والتسريح في محافظة حلب قد رفضوا (تعيينه) بصفة نائب (أو: سيناتور) في البرلمان السوري الجديد (المُصْلَح) رفضاً قاطعاً، فقد أثبت، للقاصي والداني، أنه مخلصٌ لله، والوطن، والقائد المفدى، ومنسجم مع جبهة الصمود، والتصدي، والممانعة، أيما انسجام.. لا يهتم لكراس، ولا لمناصب، ولا لسلطة، ولا لجاه!.. وأكد أن هدفه الأول والأخير في هذه الدنيا الفانية هو الوصول إلى الحقيقة.. ولا شيء غير الحقيقة... و(الحقيقة أولاً).. كما يقول الإعلامي الفلسطيني العتيق فايز قنديل ضمن برنامجه الإذاعي..

كان شادي حلوة، يقوم بواجبه المهني التاريخي من أرض شوارع حلب، معلناً، على الهواء، أمام الجماهير الكادحة، بالصوت والصورة والصدى، أن قناة "الجزيرة" التي يسميها هو (الخنزيرة)، تواصل بَثَّ أكاذيبها السامة ضد الشعب السوري، فتزعم أن الآلاف من أهالي منطقة عندان يتظاهرون ضد النظام، بينما الحقيقة و(الحقيقة أولاً) أن عدد هؤلاء المتظاهرين، المتآمرين، المتأمركين، المتصهينين، العراعرة، الحَمَديين، لا يزيد عن مئة، وقد انفضوا الآن- الله لا يردهم- فأصبحت شوارع عندان الحبيبة هادئة وادعة... لا ينقصُها (والتعليق التالي من عندي) غير مَدّة عربية، ومنقل لشوي الشقف، والكباب بانجان، وأن يُوضع أبريق الشاي على الحطب، وتُعَمَّرَ أركيلة التنباك ذات البذرة العجمية.. وخذ على شفط دخان وبقبقة ورواق آخر انسجام!

في هذه اللحظة التاريخية، أيها الإخوةُ المواطنون، حصل أمر غريب للغاية، إذ خلع أحدُهم، وهو فتى صغير (مُضَلَّل)، نعليه، وقذف بهما رأس الإعلامي الصامد، الباحث عن الحقيقة، فردةً وراء فردة، على رأسه (خَصّ نَصّ).. ولم يكتف بذلك، سادتي، بل إنه ركض وراء نعليه، بحث عنهما حتى عثر عليهما، ارتداهما على مهل، ومضى في حال سبيله، كأن شيئاً لم يكن!

حذاء منتظر الزيدي

يدور، في هذه الأيام، خلافٌ حاد في أوساط مشاهدي الفضائيات العربية حول موضوع (الريادة) في استخدام الأحذية ضمن استوديوهات البث الفضائي..

ويذهبُ فريقٌ منهم إلى أن أول من قام بهذا العمل هو الصحفي العراقي منتظر الزيدي الذي قذف بحذائه رأسَ الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش الذي حضر إلى العراق بزيارة مفاجئة بتاريخ 14 / 12 / 2008..

(ولم يسترد حذاءه كما فعل الفتى الحلبي)..

وقتها.. تلقفت القنواتُ الإعلامية السورية، والليبية، والقنوات اللبنانية (المناضلة.. دون غيرها) هذه اللقطة، وشرعت تعيدها على أعين المواطن العربي، آناء الليل وأطراف النهار، وبمعدل ألف إعادة في اليوم، حتى أصبحنا نحفظها، ونتخيلها عن ظهر قلب.

هذا الأمر مردُّه إلى الشماتة بالاستعمار الأمريكي الغادر من جهة، ومن جهة أخرى أرادت هذه المحطات أن تثبت لمشاهديها (الأكارم) أن لمقاومة الاستعمار والإمبريالية ألف طريقة وطريقة، وليس آخرها القذفُ بالأحذية..

وكان الشعب السوري، في تلك الآونة، قد توكل على الله تعالى، وسلم زمام أموره الاقتصادية، برمتها، إلى الرجل المُصلح، المُحسن، الكريم، الزاهد، رامي مخلوف، وجلس يتقشف وينتظر النتائج، فأجابه (فريقُ رامي) بأن عملية الإصلاح الاقتصادي (المخلوفية) تتألف من شقين، إذ يأتي التجويع أولاً، وبعد ردح من الزمن يأتيكم الرخاء!.. فشكا الشعب أمره لله، وجلس ينتظر ويسأل: متى ستأتينا (زيادة) الرواتب والأجور والمعاشات؟.. متى تأتينا (الزيادة)؟

فاستغل أحد رسامي الكاريكاتور هذه الحالة ورسم لوحة فيها شَعبان، كتب تحت أحدهما:

الشعب العراقي.. منتظر (الزيدي)..

وكتب تحت الآخر: الشعب السوري.. منتظر (الزيادة)!!!!

أحذية الاتجاه المعاكس

إلا أن اتباع منهج العدل، والإنصاف، والموضوعية، يقتضي منا أن نشير إلى أن برنامج "الاتجاه المعاكس"، الذي يديرُ حَلبَة المناقرات فيه الدكتور فيصل القاسم، قد سبق منتظر الزيدي، وغيره من قاذفي الأحذية، إلى شرف الريادة، بزمن طويل.. لا أقصد الحذاء الذي (أشهره) المحلل السياسي المعارض ثائر الناشف في وجه (الشبيح) الإعلامي المسكين سمير عبيد في اليوم الخامس من الشهر السادس نفسه، فهذا الأمر جاء متأخراً.. ولكن.. والحق يجب أن يُقال، إن برنامج (الاتجاه المعاكس)، من يوم أن تأسس، يعتمد على مثل هذه التقنية المزدوجة، (أعني الضرب بفردتي الحذاء على التتالي).. ولكن مخرج البرنامج، على ما يبدو، ذكي، وحاذق، ومهذب، بدليل أنه دأب على قطع البرنامج في لحظة احتدام المشاجرة، في آخر البرنامج، محتفظاً بصور ما يجري بين الخصمين المتحاربين في أرشيفه الخاص، وربما يعرضها على الملأ، يوماً ما، ضمن برنامج يعتني بالـ (طرائف الحوارية الفضائية العربية) العجيبة.

عهدة الاتجاه المعاكس

في حلقة الاتجاه المعاكس التي صادفت يوم الثلاثاء 31 / 1 / 2012.. دبت النخوة العربية في رأس المحلل الاستراتيجي اللبناني جوزيف أبي فاضل- وهو رجل، كما تعلمون، من الحجم العائلي- وهب واقفاً يريد الانقضاض (كالباشق) على خصمه الصغير الحجم الدكتور محي الدين اللاذقاني.. فخفنا، نحن المشاهدين، أن تسنح لأبي فاضل ضربة ماحقة تودي بحياة اللاذقاني، فنخسر، بذلك، معارضاً شرساً، مُحَنَّكاً، ويزيد طيننا بلة برؤية عملية قتل جديدة، مع أن النظام السوري الممانع لم يحرمنا من رؤية جثث القتلى، من مختلف الأعمار و(القياسات) تترى على شاشات الفضائيات في الليل وفي النهار.

ليلتئذ، علق أحد المشاهدين على الحادثة قائلاً إن على فريق عمل الاتجاه المعاكس أن يقوم بسلسلة من الإجراءات الاحترازية التي من شأنها حماية أرواح المتحاورين من المخاطر.. ففي لحظة دخولهم إلى الاستديو يجب تجريدهم من الأدوات الحادة (سكاكين وسنكات وشنتيانات وأحزمة بنطلونات النحاسية) وأن يسمح لهم بارتداء أحذية من النوع البلاستيكي اللدن (قليل الإيذاء)، وأن توضع أمامهم عصي مصنوعة من الورق الكرتوني كتلك التي كان يستخدمها فؤاد المهندس ضمن مسرحياته المُحزنة التي كان يسميها (كوميدية)!.. وإذا كان ضيف الحلقة المحلل السياسي السيناتور شريف شحادة يمكن تسليمه صورة لبشار الأسد، من ممتلكات الاستديو، لأنه كان يضطر لأن يحمل معه واحدة كلما سافر إلى الدوحة، بقصد أن يظهر لنا، في آخر البرنامج، ولاءه لبشار، ويعرض علينا الصورة مثلما تُعرض (وسائل الإيضاح) على تلاميذ المدارس!

لافتات كفرنبل

اشتهرت مدينة كفرنبل، منذ بداية الثورة، بلافتاتها التي تتضمن تعليقات ساخرة، طريفة، على ما يجري من أحداث سياسية.. (حتى إن الصديق صبحي حديدي خصص لها مقالة رائعة في القدس العربي).

بعد أن أعلنت السلطة، على لسان رئيسها، بكل وضوح، أن الأزمة في سورية ذات طبيعة جنائية (عصابات تخريبية مأجورة)، وأن تسعيرة قتل الرجل هي (2000) ليرة سورية.. حمل أهل كفرنبل لافتة تتضمن التسعيرة التالية:

متظاهر سلمي ملثم 500 ليرة.

متظاهر حاسر الرأس: 750 ليرة.

متظاهر واقف في مكان مرتفع: 1000 ليرة.

قتل شخص عادي: 2000 ليرة.

قتل طفل أو امرأة: 3200 ليرة.

قتل من خلال القصف العشوائي: ثلاث قتلى بـ (5000) ليرة.

القدس العربي 25 / 6 / 2012

الداماد أحمد نامي 1878 - 1963

■ ياسر مرزوق

ولد أحمد نامي بيك في بيروت عام 1878 لآل نامي من سلالة الأمراء الشركس من قبيلة الشابسوغ القفقاسية التي استقرت في سوريا أواخر القرن الثامن عشر، وقد شغل والده "فخري بك" منصب رئيس بلدية بيروت فكان من رؤسائها البارزين، وعرف عنه الأعمال المعمارية كفتح الطرق وتشييد الأبنية وإنشاء الحدائق ومنها الحديقة الحميدية وساحة البرج وخان فخري بك.

تلقى أحمد نامي تعليمه على يد أساتذة خصوصيين ثم أوفده والده إلى اسطنبول حيث انخرط في الكلية الحربية ولم يتخرج منها برتبة ضابط، بل انصرف إلى العمل الإداري، فتوظف في مكتب إدارة الدواوين العثمانية، ثم عين أمين سر ولاية بيروت وأخيرًا أمينًا عامًا لولاية أزمير خلال تواجد صديقه "كامل باشا" في الصدارة العظمى. والذي عن طريقه أيضًا تزوج عام 1910 من الأميرة عائشة، عاشر الأنجال وسادسة البنات للسلطان عبد الحميد الثاني "والتي طلقها عام 1921" فلقب على إثر زواجه "بالداماد" وهي كلمة فارسية الأصل مستعملة في اللسان العثماني ومعناها "الصهر"، ولدى اندلاع الحرب العالمية الأولى انتقل إلى خارج الدولة وأقام في سويسرا وبعد نهاية الحرب انتقل إلى فرنسا وأقام في باريس حيث نسج علاقة حميدة مع ساستها.

أقام بعد سقوط الدولة العثمانية في بيروت ومنها تم تكليفه رئاسة الدولة، علمًا أنه كان صديقًا للكاتب والسياسي الفرنسي "هنري دي جوفنيل" والذي عين عام 1925 مفوضاً سامياً لفرنسا في سوريا والتي اشتدت الثورة فيها ضد الوجود الفرنسي، ولم تفلح الحكومتان المتعاقبتان برئاسة "صبحي بركات" في ضبط الواقع وخاصةً في منطقة جبل العرب ولم تنل ثقة الوطنيين على اعتبارها متعاونة مع فرنسا، ومع اشتداد الثورة السورية الكبرى وبعيد قصف دمشق بالمدفعيّة والطائرات الفرنسيّة. استقال "بركات" من رئاسة الحكومة وعين المفوض"جوفنيل" الجنرال أندريا حاكمًا عسكرياً على منطقتي دمشق وجبل الدروز حيث كانت الثورة مشتعلة. ويقول يوسف الحكيم: "أن جميع الأطياف السياسية في سوريا، من وطنيين ومعتدلين قد سروا باستقالة بركات، بسبب قسوته في العمل السياسي" وتم تكليف "فرانسوا بيير آليه" في 9 شباط عام 1926 بتشكيل الحكومة والتي استمرت لغاية 26 نيسان من العام نفسه، وهي الفترة الزمنية التي حكمت فيها سوريا بحكم عسكري فرنسي مباشر.

في 30 نيسان عام 1926، استدعى المفوض "جوفنيل" أحمد نامي المقيم في بيروت إلى دمشق، حيث تمّ تعيينه رئيساً للدولة السورية ورئيساً للوزارة وفي 4 أيار 1926 أعلن عن تشكيل الحكومة "والتي كان من رجالاتها السيد يوسف الحكيم، والسيد واثق المؤيد العظم، وفارس بيك الخوري، ولطفي بيك الحفار" والتي أعلنت بياناً وزارياً وطنياً مُتطرّفاً يحمل المطالب الوطنية السورية ويُطالب سلطات الانتداب الفرنسية بتحقيقها، وأهم هذه المطالب تحويل الانتداب الفرنسي إلى معاهدة بين سوريا وفرنسا، ووضع دستور للبلاد، وتشكيل جيش سوري وطني، وقبول سوريا عضواً في عُصبة الأمم وإصدار عفو عام عن جميع الجرائم السياسية، وإلغاء الغرامات الحربية عن دمشق وغيرها، وذلك بالاستناد إلى الوعود الشفهيّة والمكتوبة من سلطات الانتداب الفرنسي والتي تنصّلت منها فيما بعد، وما إن تسلمت حكومة الداماد مهمتها، طلب أحمد نامي من المفوض الفرنسي إقالة مدير الأمن العام الفرنسي"بيجان" على إثر جرائمه المرتكبة بحق السوريين، فتمت تلبية الطلب فوراً.

في مطلع شهر حزيران من العام نفسه قامت السلطات العسكرية الفرنسية باعتقال ثلاثة من الوزراء وهم "البرازي والخوري والحفار" دون علم الرئيس نامي، وفي اليوم التالي نشرت جريدة الرأي العام الصادرة في دمشق بياناً لرئيس الدولة السورية يؤكد أن اعتقال الوزراء كان من السلطة العسكرية الفرنسية والتي كان تبريرها للاعتقال بأن الوزراء المذكورين كانوا على اتصال مع زعماء الثورة السورية، وبناءً على إلحاح الرئيس للإفراج عن وزراءه تم الإفراج عنهم ونفيهم إلى الجزيرة، وشكل الداماد حكومته الثانية في 12 حزيران من العام نفسه وكان من رجالاتها "السيد عبد القادر العظم، والسيد شاكر الحنبلي"، وفي 2 كانون الأول من نفس العام أيضاً شكل حكومته الثالثة والتي استمرت لغاية 8 شباط 1928، حين قدم نامي استقالته نتيجةً لتفاقم الخلافات بينه وبين سلطات الانتداب الفرنسية 1928. وعن مذكرات "يوسف الحكيم" الجزء الثالث صفحة /202/ ننقل: "أسف السوريون الموالون منهم للانتداب والمعارضون الراغبون في الاستقلال التام، أسفوا جميعاً لاستقالة الداماد من رئاسة الدولة السورية، لثقتهم بنبله وإخلاصه للوطن السوري، وسعيه لوحدة سوريا واستقلالها".

رشح نامي نفسه لانتخابات الجمعية التأسيسية عام 1928 وأنتُخب نائبا عن دمشق. تصاعد الحديث في هذه الفترة عن إمكانية إعلان النظام الملكي الدستوري في سوريا، ولم تمحى هذه الفكرة من أذهان بعض الساسة السوريين حتى عام 1932حين تم الاتفاق على النظام الجمهوري وتم انتخاب الرئيس "محمد علي العابد" كأول رئيس للجمهورية السورية وقد تعدد المرشحون بين عودة فيصل الأول ملك العراق جامعًا بين التاجين، أو تكليف خديوي مصر المخلوع عباس حلمي الثاني شؤون التاج، أو الشريف علي حيدر من سلالة الشريف حسين، أو الأمير سعيد الجزائري، أو لأحد وجهاء آل العظم حكام سوريا التقليديين، كما تم تداول اسم الداماد أحمد نامي كمرشح للعرش السوري.

عام 1931 نال نامي عضوية المجلس الاستشاري السوري بوصفه رئيسًا سابقًا للدولة، إلا أن المجلس حل بعد جلسته الأولى، وعندما نظمت انتخابات نيابية عام 1932 رفض أحمد نامي ترشيح نفسه وفضل الابتعاد عن الانقسام الحاصل بين "المعتدلين" و"الوطنيين" خلال تلك الفترة، ودعم محمد علي العابد الذي سيغدو رئيس الجمهورية، ثم عاد للإقامة في بيروت.

في آذار عام 1941 خلال الحرب العالمية الثانية وبعد تحرر سوريا من حكومة فيشي استدعى الجنرال "دانتز" الرئيس نامي وعرض عليه تشكيل حكومة حيادية، لرأب الصدع الذي تركته حادثة اغتيال الدكتور الشهبندر على المشهد السياسي في سوريا فقبل نامي هذا العرض، وخلال هذه الفترة صدف تواجد خالد بيك العظم في بيروت، فاستدعاه المفوض السامي إلى قصر الصنوبر لإجراء مشاورات بشأن تكليف نامي، فبادره العظم بأن أنباء تكليف نامي كانت قد وصلت إلى دمشق وقوبلت بمعارضة مفادها أن نامي بيك ليس رجل الساعة إضافةً إلى كونه غير سوري الجنسية، وأن ما يشاع عن ترأسه لأحد المحافل الماسونية لا يرضي الشارع السوري إضافةً إلى أن الداماد قضى أغلب وقته في بيروت منذ استقالته عام 1928، ودعم هذا الرأي عدد من رجال الكتلة الوطنية، ولا يخفى على أحد أن العظم كان طامحاً للمنصب وأنه يمتلك رصيداً شعبياً وسياسياً يفوق ما يملكه نامي بمراحل، إضافةً إلى أن فرنسا الحرة لم تكن حينها في وارد إفساد العلاقة مع الكتلة الوطنية خلال الحرب، فاعتذرت عن تكليف الداماد وعيّنت خالد العظم في المنصب يوم 3 نيسان عام 1941، وبذلك فإن الرئيس نامي منذ استقالته وحتى وفاته عام 1963 لم يمارس فعليًا أي نشاط سياسي في سوريا ما خلا تأسيسه لحزب سياسي تحت اسم "الحزب الإسلامي الديمقراطي" لم تكتب له الحياة.

توفي نامي ودفن في مقبرة العائلة في بيروت.

حكام سوريا 1961 – 1971

■ بلال سلامة

نور الدين الأتاسي

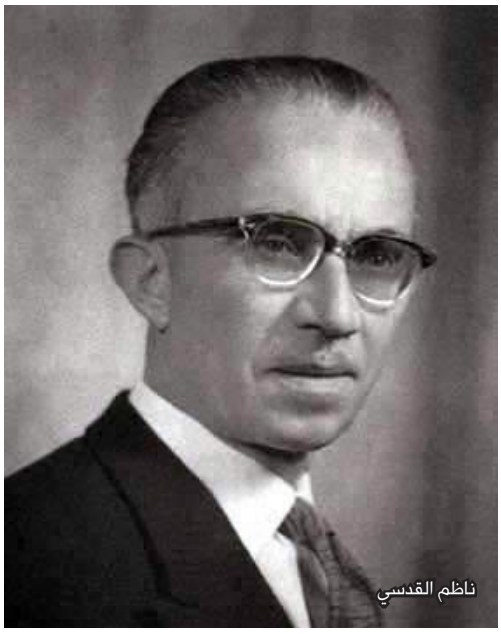
ناظم القدسي

استعرضنا في الأسبوع الفائت حكام سوريا منذ نهاية الحكم العثماني وحتى الوحدة بين سوريا ومصر عام 1958، عندما استلم الرئيس جمال عبد الناصر رئاسة الجمهورية العربية المتحدة والتي لم تدم طويلا، وانتهت بانقلاب عسكري في 28 أيلول عام 1961 وأعلنت سوريا قيام الجمهورية العربية السورية.

في هذا المقال سنتطرق لحكام سوريا بعد انفصال الجمهورية العربية المتحدة، وحتى عام 1971.

مأمون الكزبري

هو أحد قادة الانقلاب الانفصالي عن الجمهورية العربية المتحدة، ورئيساً للجمهورية السورية من 29 أيلول حتى 20 تشرين الثاني 1961، وكان محامياً وأستاذاً جامعياً.

وعلى الرغم من أن حكومته كانت حكومة انتقالية إلا أنها كانت قوية ومتماسكة لأنها ضمت الكثير من الاختصاصيين وأساتذة الجامعة البارزين أمثال الدكتور عزت النص والدكتور عدنان القوتلي والدكتور مصطفى البارودي وغيرهم.

عزت النص

عزت النص هو واحد من قادة الانقلاب الانفصالي عن الجمهورية العربية المتحدة. كان النص في وزارة الانفصال الأولى وزيراً للتربية. وبعد خمسين يوماً على الانقلاب الانفصالي قام النص بانقلابه على مأمون الكزبري، وحكم سوريا بين 20 تشرين الثاني 1961 و 14 كانون الأول 1961، وخلال فترة حكمه أشرف على إجراء الانتخابات النيابية في كانون الأول 1961.

ناظم القدسي

كان القدسي رئيساً للجمهورية السورية في حكومة الانفصال بين 14 كانون الأول 1961 و 8 آذار 1963. في يوم انتخاب القدسي أسفر الاقتراع في البرلمان عن انتخابه بأكثرية 152 صوتاً مقابل 8 أوراق باطلة و 7 أوراق بيضاء وورقة باسم فهد الدندل وورقتين باسم دهام الهادي، ونتيجة لهذا الاقتراع أعلن رئيس المجلس النيابي رسمياً انتخاب ناظم القدسي رئيساً للجمهورية، وألف وزارة جديدة ترأسها معروف الدواليبي وذلك بعد قبول استقالة الحكومة الانتقالية برئاسة عزت النص.

انتهى حكم القدسي لسوريا في تاريخ 8 آذار عام 1963 بانقلاب القادة: العقيد لؤي الأتاسي، والعميد راشد قطيني، والعقيد محمد زياد الحريري وأوصل هذا الانقلاب البعث إلى الحكم. وجاء في بداية البلاغ رقم 1 لانقلاب حزب البعث العربي الاشتراكي:

"بسم الله الرحمن الرحيم.. أيها المواطنون، أيها العرب في كل مكان، لقد انطلق صوت الحق يعلن كلمة الحق في صبيحة هذا اليوم الأغر، فانهزم الباطل وتساقط دعاته على درب أمتنا الطويل، وانتصرت إرادة الجيش والشعب، وانهزم عملاء الرجعية وأجراؤها، واندحر دعاة الانفصالية الذين حرفوا سوريا عن طريق الوحدة الصحيح، وكرسوا الانفصال بكل مظاهره وأشخاصه، وحاولوا أن يحلوا الديمقراطية محل الوحدة، فكانت ديمقراطية أعداء الشعب ودعاة الشعوبية والانتهازية".

لؤي الأتاسي

كان من أول مقررات المجلس الوطني لقيادة انقلاب 8 آذار 1963 والذي تكون إثر قيامه هو ترقية العميد الأتاسي إلى رتبة الفريق وتعيينه قائداً عاماً للجيش والقوات المسلحة. وفي 11 آذار 1963 تم تعيين الأتاسي نائباً للحاكم العسكري العام في سوريا، وفي 19 آذار من نفس العام استقل الفريق الأتاسي طيارة رئاسية خاصة وتوجه لزيارة رئيس مصر جمال عبد الناصر، ووصل القاهرة أيضاً وفد عراقي، واستمرت المباحثات بينهم حتى 17 نيسان 1963 وتم التوقيع على اتفاقية الوحدة الثلاثية. وفي 23 آذار 1963 تولى الأتاسي منصب رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة، بالإضافة لتوليه مهام القائد الأعلى للقوات المسلحة، واستمر في منصبه حتى 27 تموز من ذلك العام. وإثر توليه رئاسة الدولة كلف الأتاسي بمرسوم الدكتور سامي الجندي لرئاسة مجلس الوزراء من 11 أيار إلى 13 أيار عام 1963، ثم كلف الأتاسي صلاح الدين البيطار برئاسة المجلس الوزاري بموجب مرسوم في 13 أيار عام 1963.

أهم الانجازات التي تمت خلال مدة رئاسة الأتاسي: إعلان ميثاق الوحدة الثلاثية وإبرام مجلس الثورة لها، وتأميم المصارف السورية، وتشكيل منظمات الحرس القومي المرتبطة مباشرة بمجلس قيادة الثورة، وقد انضم إلى الحرس القومي 30، 000 متطوع.

في تموز 1963 زار الأتاسي الرئيس المصري عبد الناصر مرة أخرى بهدف إكمال مباحثات الوحدة، وفي أثناء تواجده هناك نظم الناصريون بقيادة جاسم علوان محاولة انقلاب في 18 تموز 1963، وجرت معارك حربية بين أطراف قواد البعث، ولكن خسر المنقلبون وأعدم بعضهم، وبسبب ذلك، ولأنه وجد الوحدة بين مصر وسوريا أمر متعذر، قرر الأتاسي أن لا مبرر لوجوده كرئيس للدولة، فقدم استقالته بعد عودته إلى سورية، والتي قُبلت في 27 تموز 1963، واختير أمين الحافظ رئيساً للمجلس الوطني لقيادة الثورة ورئاسة الدولة.

أمين الحافظ

كان الحافظ رئيساً لسوريا بين 27 تموز 1963 وحتى 23 شباط 1966. بعد قيام انقلاب 18 تموز 1963 تولى رئاسة الجمهورية والمجلس الوطني لقيادة الثورة وأصبح قائداً للجيش والأمين القطري لحزب البعث. ولكن نتيجة لاستخدام الحافظ للقوة الشديدة في قمع انقلاب 18 تموز 1963 خسر الكثير من ولاء رفاقه، حيث رفض الفريق محمد الصوفي التعامل معه، كما رفض العقيد ياسين فرجاني أحد رموز الاتحاد الاشتراكي وصديقه الشخصي جميع المناصب التي عرضها عليه. و نتيجة استمرار اعتقال العقيد جاسم علوان توترت العلاقات السورية المصرية. شهد عهد الحافظ توجها اشتراكيا للاقتصاد. وفي تاريخ 23 شباط 1966 انتهى حكم الحافظ بانقلاب اللواء صلاح جديد، فألقي القبض على الحافظ وسجن، ثم أطلق سراحه بعد حرب 1967 ونفي إلى لبنان.

نور الدين الأتاسي

أصبح رئيساً للدولة وأميناً عاماً لحزب البعث بعد انقلاب 23 شباط 1966 على الرئيس أمين الحافظ. كانت سلطته شكلية إذ كانت السلطة الفعلية في يد مساعد الأمين العام لحزب البعث صلاح جديد. تم في عهده توقيع اتفاق إنشاء سد الفرات مع الحكومة السوفيتية وبوشر في تنفيذه. شغل منصب رئيس الوزراء في العام 1968 إلى جانب كونه الأمين العام للحزب ورئيس الدولة.

خلال فترة حكمه تم احتلال الجولان عام 1967 وتحمل الأتاسي مسؤولية هذه الهزيمة عندما تهرب منها وزير الدفاع حافظ الأسد. حاول الأتاسي بعد انتهاء الحرب أن يقيم جبهة وطنية واسعة وأن ينفتح على باقي القوى السياسية، ولكنه لم ينجح بسبب الخلاف الكبير الذي حصل بينه هو والأمين العام المساعد صلاح جديد وبين وزير الدفاع حافظ الأسد والذي بلغ أقصاه أثناء أحداث أيلول الأسود في الأردن عندما اختلفوا على إرسال الأتاسي لقوات سورية لمساندة الفلسطينيين في الأردن.

استقال الأتاسي من كل مناصبه في تشرين الأول 1970 احتجاجاً على تدخل الجيش في السياسة وعلى ممارسات رفعت الأسد (شقيق وزير الدفاع حافظ الأسد). بعد استقالة الأتاسي تم توجيه الدعوة لعقد المؤتمر العاشر الاستثنائي للحزب والذي قرر فصل كل من حافظ الأسد ومصطفى طلاس رئيس الأركان من مناصبهم، وكان نتيجة هذا القرار أن قام الأسد في 16 تشرين الثاني 1970 بانقلاب عسكري أسماه "الحركة التصحيحية" تمكن فيه من سجن الأتاسي وجديد في سجن المزة العسكري، حيث أمضى هناك الأتاسي 22 عاماً دون محاكمة وأصيب بمرض السرطان ولم يحظ بأي عناية صحية، إلى أن أدخل المشفى العسكري لمدة 4 أشهر كان خلالها المرض قد تفشى في جسده، فأطلق سراحه، لكنه توفي بعد أيام في 2 كانون الأول 1992 ودفن في مدينته حمص وأقيمت له جنازة كبيرة.

أحمد الحسن الخطيب

عُيّن رئيساً لسوريا في الفترة ما بين 18 تشرين الثاني 1970 و 22 شباط 1971، وتعد فترة حكمه فترة انتقالية ريثما تسلم حافظ الأسد الحكم بعد انقلابه على نور الدين الأتاسي. كان الخطيب عضواً في الحزب الحاكم، وأستمر كرئيس لأربعة أشهر فقط، تسلم بعدها الأسد حكم سوريا والذي شغل منصب رئاسة مجلس الوزراء ووزير الدفاع منذ تاريخ 21 تشرين الثاني 1970.

سوريون معارضون

■ إعداد: ميس قات

جودت سعيد

1 - من مواليد القنيطرة العام 1931 في قرية بئر عجم المتاخمة للحدود الإسرائيلية حالياً.

2 - درس المرحلة الثانوية في مصر وأتم دراسة اللغة العربية في جامعة الأزهر وعمل مدرساً للغة العربية في مدارس سوريا وتم نقله عدة مرات إلى العديد من المناطق في سوريا ثم تم صرفه من عمله كمدرس في نهاية الستينات من القرن الماضي.

3 - تمت واقعة الانفصال بين سوريا ومصر أثناء تأدية جودت سعيد لخدمته الإلزامية وامتثلت قطعته للتحرك بينما رفض هو الانصياع للأوامر بحمل السلاح مما اجبر المسؤولين عنه لإخضاعه للإقامة الجبرية.

4 - بعد حرب ال1973 تم تحرير القنيطرة وبعض القرى السورية من أيدي الاحتلال الإسرائيلي الذي كان قد استولى عليها في العام 1967 فعاد جودت سعيد إلى قريته بئر عجم التي كانت من ضمن القرى المحررة وهو يعيش فيها حتى اليوم يعمل في الزراعة وتربية النحل ويتابع نشاطه الثقافي في الساحة العربية والعالمية.

5 - يعرف جودت سعيد بأنه داعية اللاعنف في العالم الإسلامي.. وقد بين جودت سعيد في كتابه مذهب ابن ادم الفروق بين الجهاد في مرحلة بناء الدولة، وبين الجهاد بعد ذلك، وكان هذا في معرض رده على بعض الشبه المثارة حول فكرة اللاعنف وتناقضها مع الجهاد بمعنى القتال فلا يجوز الوصول إلى السلطة والحكم بالقوة وبالسيف، فكل من أخذ بالسيف، بالسيف يهلك، والتغيير بالقوة لا يغير المجتمع وإنما يذهب هرقل ويأتي هرقل.

6 - سجن جودت سعيد عدة مرات وتعرض للإقامة الجبرية لسنوات عديدة وتتم مراقبته بشكل دائم من قبل السلطات السورية ويمنع طلابه من حضور الدروس التي يقيمها بين الوقت والآخر تارة يمنعون بالعنف وتارة بإغلاق الطريق المؤدي للقرية وأحيانا باستدعائهم للتوقيع على تعهدات تنص على الامتناع عن حضور محاضرات الشيخ جودت.

7 - اعتقل ابنا المفكر جودت سعيد بشر وسعد في اعتصام وزارة الداخلية "بداية أحداث الثورة السورية" ثم أطلق سراحهما بعد دفع كفالة وذلك بانتظار حكم المحكمة عليهما.

8 - شارك جودت سعيد أبناء جاسم في درعا التظاهر وهنا تجد كلمته التي ألقاها أمام جموع جاسم والتي ألح فيها وكرر مرارا ضرورة الالتزام بالنضال السلمي واللاعنف وسيلة للوصول إلى المطالب المشروعة كما زار دوما إبان المجزرة التي قام بها النظام في الشهر الأول من الثورة السورية وألقى خطابا بالمعزين هناك.

9 - يدعو جودت سعيد لقيام سوريا مدنية ديمقراطية تقوم على فصل الدين عن الدولة.

هيثم المالح

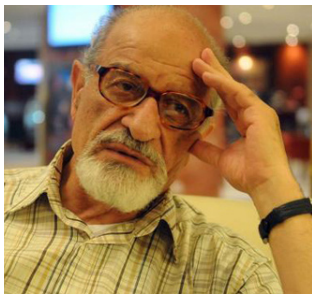

1 – من مواليد العام 1931 درس الحقوق في جامعة دمشق وعمل محاميا ثم قاضيا.. أصدرت السلطات قانونا خاصا لتسريح هيثم المالح من عمله كقاض وعدد آخر من القضاة السوريين المعارضين في العام 1966.

2 – اعتقل 3 مرات... في عهد حافظ الأسد لمدة 7 سنوات برفقة العديد من الحقوقيين والناشطين السياسيين أضرب خلالها على الطعام عدة مرات واشرف على الموت في احدها..

3 – تم اختطافه من قبل قوات الأمن 2009 وتمت محاكمته بعدها في محكمة القضاء العسكري وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات بتهمة نشر أخبار كاذبة من شأنها أن توهن نفسية الأمة استنادا إلى تصريحات ألقى بها في معرض لقاء معه عبر الهاتف مع قناة بردى الفضائية المعارضة بالإضافة إلى عدد كبير من المقالات التي كان نشرها خلال السنوات القليلة الماضية حول حقوق الإنسان والحريات العامة واستشراء الفساد في سوريا. وتم إطلاق سراحه بعد عفو رئاسي عام في العام 2011 وفقا للمادة الأولى من مرسوم العفو (لتجاوزه السبعين من العمر).

4 – خاطب السوريين في فيديو مسجل في الأول من نيسان 2011 بعد خروجه من السجن، ولوحق من قبل المخابرات السورية بسبب تصريحاته ومواقفه من الثورة مما اضطره للتخفي ومن ثم مغادرة البلاد.

5 – يعتبر هيثم المالح شيخ الحقوقيين السوريين ومنظراً مهماً في القانون السوري له العديد من الكتب والدراسات القانونية والمقالات التي تبحث في حقوق الإنسان والقانون السوري وقضايا الرأي العام السورية.

6 – يملك هيثم المالح مكتباً متواضعاً يمارس فيه مهنة المحاماة ويزاول فيه نشاطه السياسي في دمشق.

7 – تدربت لدى هيثم المالح المحامية والناشطة الحقوقية رزان زيتونة التي تعد الناشطة الحقوقية الأكثر نشاطا وشهرة بين الشباب السوريين.

8 – انشأ هيثم المالح جمعية حقوق الإنسان في سورية في العام 2011 بالاشتراك مع مجموعة من النشطاء أمثال أنور البني ورزان زيتونة وغيرهم.

9 – دعا هيثم المالح لمؤتمر إنقاذ وطني تم عقده في 16 / 7 / 2011 في استانبول وكان قد دعى لتشكيل مجلس وطني انتقالي في فيديو سجله قبل المؤتمر بتاريخ 2 / 7 / 2011، تم عقد المؤتمر في استانبول وكان من المقرر عقد المؤتمر في الداخل وذلك في أحدى الصالات الموجودة في منطقة القابون في دمشق لكن تهديدات أمنية طالت صاحب الصالة إضافة إلى إحداث دامية أودت بحياة العديد من الشبان في منطقة القابون يوم الجمعة 15 / 7 / 2011 مما أفشل انعقاد المؤتمر في الداخل..

10 – انضم هيثم المالح لهيئة التنسيق الوطني لقوى التغيير الديمقراطي في سوريا والتي ضمت 21 حزبا معارضا في سوريا وعددا كبيرا من الشخصيات المستقلة داخل وخارج سوريا مثل عارف دليلة وميشيل كيلو وفايز سارة وحسين العودات وحازم نهار ومن الخارج برهان غليون وهيثم المناع.

11 – رفض كل دعوات الحوار التي وجهها النظام له بعد اندلاع الثورة في سوريا وكان آخرها رفضه مؤتمر الحوار الوطني وكان رفضه ممثلا برفض هيئة التنسيق الوطني لقوى التغيير الديمقراطي في سوريا.

عارف دليلة

1 - ولد عارف دليلة في اللاذقية عام 1943.

2 - درس في كلية التجارة في دمشق وحصل على دكتوراه في الاقتصاد من جامعة موسكو (لومانوسوف).

3 - عمل عارف دليلة في التدريس الجامعي في جامعة حلب ثم عمل كخبير في صندوق التنمية في الثمانينات في الكويت بعد ذلك عاد إلى سوريا ليعمل أستاذاً في كلية الاقتصاد، جامعة دمشق وشغل منصب عميد الكلية قبل أن يتم تسريحه من عمله عام 1998 على خلفية محاضرة ألقاها في مقر اتحاد الكتاب العرب بعنوان (التنمية وحقوق المواطن الاقتصادية).

4 - رشح نفسه إلى عضوية مجلس الشعب في الدورة التشريعية 1999 عن مدينة دمشق، وكان بيانه الانتخابي بعنوان: «الإصلاح التشريعي والاقتصادي والإداري المهمة الملحة لمجلس الشعب ومبرر وجوده».

5 - كان عارف دليلة من أهم نشطاء لجان المجتمع المدني التي دعت فيما دعت إلى وقف العمل بقانون الطوارئ وإلغاء الأحكام العرفية والمحاكم الاستثنائية وجميع القوانين ذات العلاقة، وتدارك ما نجم عنها من ظلم وحيف. وإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين، وتسوية أوضاع المحرومين من الحقوق المدنية وحق العمل بموجب القوانين والأحكام الاستثنائية، والسماح بعودة المبعدين إلى الوطن وإطلاق الحريات السياسية، ولاسيما حرية الرأي والتعبير، وتأكيد استقلال القضاء ونزاهته وبسط سيادة القانون على الحاكم والمحكوم.

ونشط في ما عُرف بمنتديات ربيع دمشق إبان استلام بشار الأسد مقاليد الحكم في سوريا، كما وقّع على بيان ال99 وبيان ال 1000.. البيانان الشهيران الذي دعا المثقفون السوريون من خلالهما النظام السوري للقيام بإصلاح سياسي حقيقي.

6 - شارك عارف دليلة في تأسيس منتدى الحوار الوطني (أحد منتديات ربيع دمشق) برفقة رياض سيف، فواز تللو، وليد البني وحبيب عيسى وتم إغلاق المنتدى من قبل السلطات السورية على خلفية إنهاء ظاهرة ربيع دمشق.

7 - تم اعتقاله عام 2001 بعد إلقائه لمحاضرة في منتدى الأتاسي بعنوان (الاقتصاد السوري مشاكل وحلول)، حوكم على خلفية المحاضرة أمام محكمة امن الدولة وحكم عليه لمدة عشر سنوات بتهمة «الاعتداء» الذي يستهدف تغيير الدستور بطرق غير مشروعة، وإلقاء الخطب بهدف لإثارة عصيان مسلح ضد السلطات الشرعية.

8 - قضى عارف دليلة حكمه في زنزانة منفردة في الجناح الثاني في سجن عدرا المركزي، وهو جناح تديره شعبة الأمن السياسي، وهو يعاني من مشكلات صحية خطيرة تهدد حياته.

تعرض عارف دليلة للمعاملة السيئة أثناء سحنه في سجن عدرا (بحسب منظمة العفو الدولية). اضرب عن الطعام عدة مرات ومن ثم ساء وضعه الصحي ماحدا بمجموعة من المنظمات يبلغ عددها ال26 منظمة حقوقية عربية ودولية لتعلن عن حملة للمطالبة بالإفراج عن عارف دليلة.

تم الإفراج عن عارف دليلة من قبل السلطات السورية عام 2008.

9 - انضم عارف دليلة لهيئة التنسيق الوطني لقوى التغيير الديمقراطي في سوريا التي تم تشكيلها في أوائل تموز 2011 إلى جانب أكثر من 21 حزبا وعدد من الشخصيات المستقلة مثل ميشيل كيلو وجودت سعيد ومحمد العمار وناهد بدوية وغيرهم.

10 - للدكتور دليلة العديد من الدراسات والمؤلفات والأبحاث التي شارك بها في العديد من المنتديات والمؤتمرات العلمية والاقتصادية الدولية والعربية وأشرف على العديد من رسائل الدكتوراه في معرض عمله في جامعة دمشق.

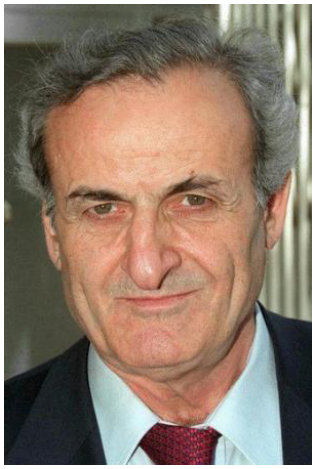

يتم تدريس مؤلفين اثنين لعارف دليلة في كلية الاقتصاد بحلب: «تاريخ الوقائع والأفكار الاقتصادية»، «الاقتصاد السياسي»، كما أنه ترجم عدة كتب في الاقتصاد إلى العربية.

سمير التنير: الانقلاب الشعبي في الوطن العربي

الشّعب أراد فهبّت رياح التّغيير

■ ياسر مرزوق

سوف تبقى الثورات الشعبية العربية مدار بحث حتى سنوات قادمة طويلة لما انطوت عليه من مفاجأة وسرعة وأهداف أخلاقية. وتشهد دور النشر العربية والعالمية المزيد من الدراسات والبحوث حول هذه الثورات التي تصوغ الحاضر والمستقبل وليس مصير العرب وحدهم وإنما الإقليم وربما العالم برمته. فمنذ أكثر من عام هبت على الوطن العربي برمته نسائم حرية، بدت في البدء ضعيفة ثم تحولت إلى عاصفة عاتية أخذت في طريقها كل شيء. كان الوضع في الوطن العربي يبدو صامداً والأزمات تتراكم من دون حلول. لكن العاصفة التونسية أجبرت بن علي على الهروب وفرعون مصر إلى السجن، وصالح إلى المنفى كما أودت بحياة القذافي، لقد فرض الشبان نظاماً جديداً، بعد أن كسروا جدار الخوف. وحطموا الفساد والمفسدين، طالبين الحرية والخبز مع الكرامة. وكان الحكام المستبدون يقولون للغرب: "إما نحن.. أو الإرهاب الإسلامي".

وكتابنا اليوم "الانقلاب الشعبي في الوطن العربي" للباحث الدكتور "سمير التنير". صورة للأنظمة العربية على حقيقتها عندما تقدم نفسها على أنها صاحبة القواسم المشتركة عندما تهدد شعوبها بالحرب الأهلية أو التفكك وتهدد الغرب بنفس الوقت بما تسميه التطرف أو بعبع الأصولية. كتاب يدعونا مؤلفه إلى قراءة معمّقة في السياسة العربية والدولية واقتصاداتها، وإلى تأثيرات هذا الانقلاب، وأساليب التسريع في ظاهرة التحول الديمقراطي ودور المثقفين في تحويله إلى واقع مؤسساتي ثابت.

إن ما حدث ويحدث في الربيع العربي هو انقلاب فكري أولاً على مقولة "نهاية التاريخ" التي راجت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وأن القطب الأوحد الأميركي سيعيد تشكيل العالم كما يريد، وأن لا مكان لإرادة الشعوب، وهو انقلاب على نظرة الحاكم العربي "مهما كان نوعه" إلى السلطة بوصفها ملكاً له، وإلى الدولة بوصفها سلعة يحق له التصرف بها للإثراء الذاتي أو للتوريث.. أما الطريقة التي اقتلع بها الشبان الثائرون حكامهم فكانت: "الانقلاب الشعبي".

وضع الدكتور سمير التنير كتابه في قسمين، شمل الأول السياسة العربية والدولية، جمع فيه الأحداث المهمة التي تناوبت على مصر، وأزمة الاستبداد العربي في اليمن والأردن والمغرب والجزائر، ثم انتقل إلى أميركا وعلاقتها بأفغانستان وأوروبا. عارضاً للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للعديد من البلدان العربية، وخصوصاً تلك التي اندلعت فيها ثورات شعبية أطاحت نظم الحكم الاستبدادية وبدأت تشهد مخاضات صوب ديمقراطية حرة. من خلال مقالات نشرها في منابر مختلفة، كما يسلّط الضوء على العلاقات السياسية والبراغماتية المعقدّة التي تربط هذه الدول بالولايات المتحدة وأوروبا وتركيا، معتمداً على دراسات وإحصائيات منهجية لفهم التركيبة التي تحكم السياسات الغربية حيال العرب وتأثير العوامل الداخلية على هذه السياسات.

وتناول في القسم الثاني الاقتصاد العربي والدولي انطلاقاً من أزمة اليونان واكتشاف النفط في لبنان، إلى الاقتصاد التركي والصراع على الأسواق بين ألمانيا والصين، ووضع العالم العربي الذي لا يستطيع إطعام سكانه. كما يناقش سياسات صندوق النقد والبنك الدوليين، وما يخلّفانه من انهيارات مالية ومجاعات عالمية وسوء توزيع للثروة على مستوى العالم.

موضوعات متفرّقة لكنّها غزيرة في المعلومات، تفتح أمام القارئ آفاقاً جديدة تساعده على فهم أحداث كثيرة حصلت، وأحداث راهنة عدة تشكّل أمامنا علامات استفهام مريبة.

كما يفرد جانباً من الكتاب للشباب العربي الذين يمثلون نسبة تفوق نصف عدد السكان، أي أن عددهم بلغ 190 مليون نسمة من أصل 352 مليون عربي. وهؤلاء الشبان تقل أعمارهم عن 24 عاماً، وثلاثة أرباعهم يعانون من البطالة، ولا تشفع لهم شهاداتهم الجامعية وخبرتهم العلمية إذ لا توجد فرص للعمل. أما حكوماتهم فهي غارقة في الفساد وغير فاعلة وقادتهم بلغوا من العمر عتياً. وتسود في بلدان مثل تونس والجزائر ومصر وغيرها كآبة سببها القمع والقهر اللذان يتسبّب بهما الحاكمون، وتدرك الحكومات في الغرب هذه الحقائق، ومع ذلك فهي تستمرّ في تأييد تلك الأنظمة المفلسة.

في الجزائر والأردن واليمن تستمر التظاهرات إذ إن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والحياتية تتماثل في أقطار الوطن كافة. وتكشف برقيات "ويكيليكس" بعض أسرار الرؤساء العرب، فتصف بعضها عبد العزيز بوتفليقة بأنه ضعيف معزول، ويريد توريث الرئاسة إلى أخيه سعيد الذي يصغره بعشرين عاماً، كما يحيط به الفاسدون من كل جانب، ولا يجد الشبان في تلك الحالة إلا انتظار الموت البطيء أو الهجرة في "قوارب الموت" التي تنطلق من ميناء عنابة إلى الغرب وقد غرق في أحدها مراد الشاذلي ابن أخ رئيس الجمهورية السابق. وفي المغرب أيضاً يقيم الشبان بعض المخيمات في انتظار فرص العمل التي لن تأتي. أما إذا تحرّك الشبان لإيصال صوتهم والاعتراض على الاستبداد يصرخ بعض القادة العرب طالبين النجدة من الغرب في سبيل محاربة "الإرهاب الإسلامي"، وهم في الحقيقة يعملون لتأسيس سلالات تستولي على الحكم بعدهم. هذه نظرة خاطفة إلى بعض الموضوعات التي تناولها المؤلف في كتابه، وهي غيض من فيض الأحداث العربية المعاصرة التي عشناها ولا نزال نتلقى تأثيراتها. فهل تتمكن هذه الانتفاضات الشعبية من تفتيت الأنظمة الديكتاتورية المستبدة، والانتقال بالحكم إلى ديمقراطية يستطيع الشعب فيها بشكل مباشر وجماعي السيطرة الفعلية على صنع السياسة العامة، لقد كسرت ثورة تونس وثورة مصر كل جدار للخوف، وجسد محمد بوعزيزي أشعل ناراً لن تنطفئ أبداً، وتظاهرات عمان وصنعاء الضخمة مطلبها واحد: رحيل الحكام والمسؤولين.

لكن المثير للتساؤل بأن كاتبنا اختار تقديم لمحات قصيرة عن السياقات السياسية والاقتصادية فيها، متنبئاً بحصول ثورات ستغيّر النظم الدكتاتورية الحاكمة في هذه الدول، وتطيح نسقها الاستبدادي. والمفارقة هنا أنّ الكاتب لم يناقش أوضاع سوريا وليبيا حيث الانتفاضة أخذت أشكالها التأسيسية، بل فضّل مناقشة أوضاع المغرب والأردن والجزائر، التي لم تشهد بعد سوى إرهاصات احتجاجية يجري قمعها من وقت إلى آخر، وحتى في تناوله لموضوع الإعلام العربي، ناقش الباحث سلبيات الإعلام الرسمي التابع للأنظمة، من دون أن يلتفت ولو بالإشارة إلى الإعلام الشبابي الجديد، كالفايسبوك وتويتر ويوتيوب، الذي كان له دور أساسي في الثورات العربية، لكن وعلى الرغم من بعض الهنات يبقى الكتاب مرجعاً مميزاً يعطي صورة لمشهد الربيع العربي وعلاقته بالاقتصاد والمجتمع والبعد الإقليمي.

السلاح: انتصار الثورة أم مقتلها؟

■ محمد ديبو

منذ دخول الانتفاضة السوريّة نفقَ التسلّح، هيمن اتجاهان في التفكير والفعل الثوريّ على أوساط المناصرين للثورة والمنخرطين في نشاطاتها كافة: بين مَنْ يرى أنّ السلاح هو وحده الكفيل بإسقاط نظام وصل حدّ العسف المطلق؛ وبين مَنْ يرى أنّ السلميّة هي وحدها القادرة على تفكيكه، مع إبقاء خيار استخدام السلاح في حالات الدفاع المباشر عن النفس أو لحماية التظاهرات فقط.

جوهر النقاشات التي تصبّ على تأكيد شرعيّة التسلّح يستمدّ مشروعيّته من بطش النظام في مواجهة شعبه، عبر القول إنّ هذا البطش هو ما أجبر الثورةَ على التسلح. وهذا يعني أنّ مشروعيّة السلاح تأتي هنا بدلالة الخصم، لا عبر طرح أسئلة جوهريّة تتعلّق بمدى قدرة هذا السلاح على تحقيق الهدف الذي امتُشق لأجله، وتكاليفه، والنتائج المترتّبة عليه.

يستند أصحابُ التسلّح في تبرير منهجهم الكفاحيّ هذا إلى أنّ الثورات كانت دائمًا مسلّحة، ويسْخر أحدُهم من يساريّي اليوم الذين يرفعون صورَ غيفارا في بيوتهم بينما هم يقفون ضدّ التسلّح. (1) غير أنّ هذا الرأي يُسقط من حسابه اختلافَ الظروف بين الأمس واليوم، وأنّ خيارًا كهذا يحتاج حاضنًا اجتماعيًا على مستوى الوطن، إضافةً إلى حاضن عالميّ.

كلنا ندرك أنّ التعبئة العامّة في بداية الثورة كانت للاتجاه السلميّ ـ وهو أمر أثمر إيجابًا لدى الجمهور السوريّ الذي احتضن الثوّار السلميين في البداية. إلى أن بدأ التسلّحُ في الظهور، فلم تَقدر القطاعاتُ الشعبية وأوساطُ الرأي العامّ أن تفهم هذا التحوّل. هنا خسرت الثورةُ الكثيرَ من حواضنها، وفقدتْ قطاعاتٍ أخرى كان يمكن أن تنضمّ إليها خصوصًا في أوساط الطبقات الوسطى.

أما على صعيد المناخ الدوليّ العالميّ، فقد باتت السمة التي تطبعه هي اللاعنفَ ورفضَ الحروب واستخدام السلاح. فمنذ ربيع براغ وانهيار الاتحاد السوفياتيّ وسطوع الثورات الملوّنة، تراجع وهجُ الثورات المسلّحة التي تعتمد أسلوبَ العصابات لصالح الثورات السلميّة التي تعتمد التظاهرات والعصيانَ المدنيّ وكلّ أنواع النشاطات السلميّة. وتُوّج هذا الأمرُ برعاية الأمم المتحدة لثقافة اللاعنف، من خلال إعلان العقْد الممتد بين سنتيْ 2001 و2010 عقدًا لتشجيع «ثقافة السلام واللاعنف ولصالح أطفال العالم.» وهذا يعني وجودَ مناخ عالميّ مختلف تمامًا عن مناخات الخمسينيّات والستينيّات من القرن الماضي، وهي مناخات كانت تحتفي بالثورات المسلحة المدعومة من القطب السوفياتيّ.

إذن، كما نقول إنّ خيار السلطة الأمنيّ في استعادة مناخ الثمانينيّات فاشلٌ جدًّا بسبب اختلاف الظروف وتغيّر المحيط الدوليّ والإقليميّ، فإننا نقول أيضًا إنّ خيار تسليح الثورة فاشلٌ بسبب تغيّر الظروف نفسها. فالسلطة بحلها الأمنيّ تعالج مشاكل اليوم بحلول الأمس؛ وأصحابُ خيار التسلّح يعالجون مشاكل الوطن بحلول سابقة قد تنجح في إسقاط النظام لكنّ نتائجَها الأخرى كارثيّة على المجتمع وعلى بناء الدولة الديمقراطيّة التي ينشدها السوريون الأحرار.

يردّد البعض معلومةً، لا يمكن التحقّقُ من صحّتها عن أحداث الثمانينيّات، تقول إنّ قائد سرايا الدفاع رفعت الأسد كان يعرف أنّ الإخوان المسلمين يتسلّحون، وترك لهم البابَ مواربًا لتحقيق ذلك، كي يتمكن فيما بعد من إيجاد مبرّر أمام الجمهور السوريّ للبطش بهم، جارفًا في طريقه كلّ التيّارات المعارضة بذريعة «مكافحة الإرهاب.» الأمر نفسه يتكرّر اليوم، إذ لا يساورنا أدنى شكّ في أنّ السلطة غضّت النظر على التسلّح وشجّعتْه، وصعّدتْ عنفهَا بغية دفع الناس إليه، إلى الأرض الوحيدة التي تجيد اللعبَ فوقها.

بعيدًا عن كلّ ما سبق، سنعرض الآن الوقائعَ التي أفرزها التسلّحُ على الأرض السوريّة. وسنناقشها في ضوء الهدف الذي يَنْشده السوريون. وهذا النقد، بالمناسبة، لا يطول الجنودَ الشجعان الذين انشقّوا تعبيرًا عن رفضهم إطلاقَ النار على المدنيين، وإن اختلفنا معهم في الرؤية الى تحقيق الهدف المشترك للسوريين في بناء الدولة الوطنيّة: فنحن نرى أنّ انتقال الثورة من الخيار السلميّ إلى الخيار المسلّح فتح البابَ لجميع القوى والدول وأجهزة الاستخبارات للعمل على الأرض السوريّة لتحقيق أجندات مضادّة لأهداف السوريين. وهذه الأجندات متداخلة ومتناقضة في أهدافها، إلى درجة أنها تجعل مصير الكيان السوريّ محفوفًا بمخاطر جمّة:

* فثمة أهداف متناقضة لأنصار التسلّح على الأرض. إذ بينما يشكّل «الجيش السوريّ الحرّ» كتائبه الخاصة لإسقاط النظام، يعمل السوريّ الحرّ كجناح عسكريّ موحّدٍ للمعارضة.» (3)

هنا يتّضح أنّ الإخوان المسلمين باتوا يستغلّون الجيشَ الحرّ وخيار التسلّح غطاءً لتحقيق أجندةٍ خاصةٍ بهم، غير بعيدةٍ عن داعميهم الأساسيين في قطر والسعوديّة، حيث الهدف سيطرةُ هؤلاء على الأرض عسكريًا، بغية قطف النتاج السياسيّ لاحقًا. وهذا ما يحصل الآن في ليبيا:

فقد دُعم عبد الحكيم بلحاج، المقاتلُ في صفوف «القاعدة» إلى جانب بن لادن، وأحدُ مؤسّسي «الجماعة الإسلاميّة الليبيّة» في بداية التسعينيّات، قبل أن يصبح أميرًا للجماعة الليبيّة المقاتلة، ليُعتقل بعدها في بانكوك بأمر من المخابرات الأمريكيّة، ويسلّمَ إلى القذافي، فيبقى سبعَ سنوات في السجن، ليخرجَ منه بوساطة علي الصلابي (أحد قادة الإخوان في ليبيا) والشيخ يوسف القرضاوي (وهو ما يفسّر سرّ الدعم القطريّ لبلحاج). بلحاج، هذا، ظهر فجأةً وهو يقود معركة تحرير طرابلس، وتُظهره قناة الجزيرة بطلاً ليبيًا، وقد استقال من رئاسة المجلس العسكريّ في طرابلس كي يترشّح للانتخابات القادمة في ليبيا. وهو سيفوز، لأنه يمتلك المال، ويمتلك الإعلامَ الذي سيقدّمه رمزًا من رموز الثورة، على حساب مكوّناتٍ أخرى علمانيّة سيجري تهميشُها في ليبيا.

المثال السابق يعطينا صورةً دقيقةً عن كيفيّة عمل تلك الجماعات، والأهداف التي ترمي إليها، أي الوصول إلى السلطة عن طريق اغتصاب الثورة! هكذا يتمّ العملُ المنهجيّ على تدمير الوعي المدنيّ، وجرّ الناس إلى السلاح والاحتقان الأهليّ. كما يتم العمل على تشويه سيرة المناضلين الوطنيين، كهيثم منّاع وعبد العزيز الخيّر وفاتح جاموس، بغية إظهارهم بمظهر الخونة لدماء الشعب السوريّ، كي تظهر تلك الجماعاتُ وكأنها ملائكة على الأرض!

انشقّوا عن الجيش السوريّ أصبحوا في أربيل، وهم يتدرّبون ليكونوا «بشمركة» سوريّة قادرةً على حماية المناطق الكرديّة في سوريا في حال سقوط النظام. ويقول القياديّ في «تيّار المستقبل الكرديّ» في سوريا، غربي حسو، إنّ عدد السوريين الكرد «الذين دخلوا إقليم كردستان قد وصل إلى 4500 شخص...» (4) وثمّة معلومات تفيد بأنّ أغلب هؤلاء قد يتدرّبون على السلاح في أربيل، فما دور هؤلاء لاحقًا؟

وضمن هذا السياق يشير الكاتب والناشط السياسيّ المقيم في القامشلي سليمان يوسف إلى أنّ نشرة «كلنا شركاء» الإلكترونيّة نشرتْ حوارًا مع قائد الجيش الخاصّ لما يسمّى بـ «كردستان سورية» يقول فيه: «نحن الكرد، كقوميّة، لنا الحقّ بأن يكون لنا جيش يحمي إقليمَ غرب كردستان. وهدف الجيش الدفاع عن الشعب في حال تمّ هجوم من قبل النظام الحاليّ أو هجوم من أيّ عدوّ خارجيّ في المستقبل على سورية أو على إقليم كردستان سورية.» ويرى يوسف أنّ العديدَ من وسائل الإعلام نشرتْ تقريرًا عن قيام قوّات مسعود البرزاني في شمال العراق بفتح «معسكرات تدريب» لمجنّدين أكراد سوريين انشقّوا عن الجيش السوريّ وفرّوا الى العراق. ويتابع يوسف:

«معلوم أنّ الجيش الخاصّ بما يسمّى "غرب كردستان"... يُعتبر الجناح العسكريّ لحزب الاتحاد الديمقراطيّ - الوريث السياسي لحزب العمال الكردستانيّ - الذي بات وضعهُ أشبهَ بحكومة ظلّ في محافظة الحسكة، حيث أجرى انتخاباتٍ محليّة خاصةً به في مدن وبلدات محافظة الجزيرة ضمن مشروع "الإدارة الذاتيّة" الذي أعلن عنه باسم "حركة المجتمع الديمقراطيّ في غربيّ كردستان".» (5)

استنادًا إلى ما سبق، نحن أمام «بشمركة» تابعة لأجندة البرزاني

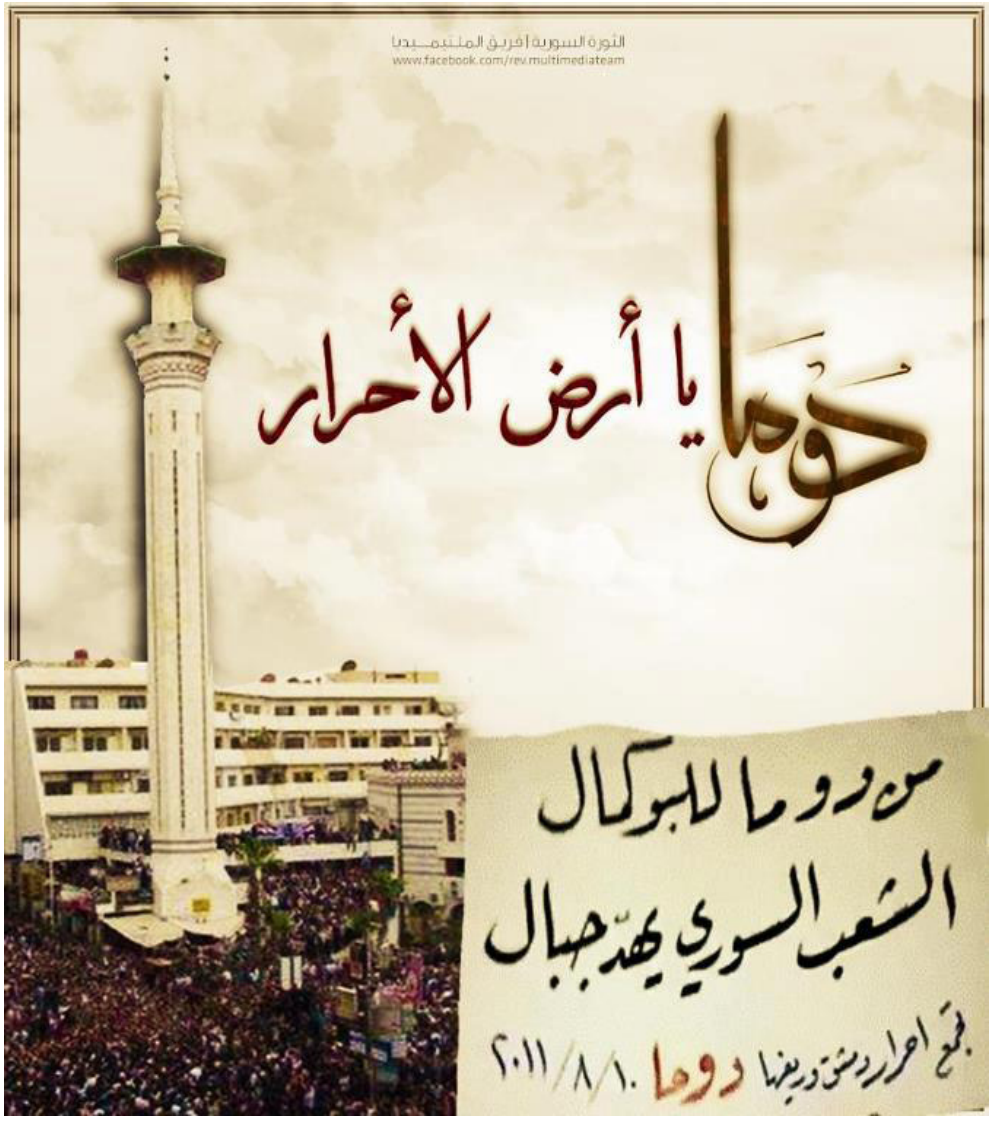

دينيّة وإثنيّة متباينة، أن يكون مسبِّبًا لتوتّرات لا تنتهي. وهذا ما خبرناه في كلّ مناطق النزاع ذات التعدّد الإثنيّ والطائفيّ، كلبنان مثلاً، وهو أمر له إشكاليّاته حتى حين يكون السلاحُ مشروعًا ولأجندة وطنيّة (كحال المقاومة ضدّ إسرائيل)، فما بالك حين يكون في خدمة أجندة أخرى؟

* لا يمكن فصلُ إشكاليّة السلاح عن إشكاليّة الوضع السوريّ ضمن محيطه الدوليّ والإقليميّ.

فعلى الصعيد الإقليميّ، تشكّل سوريا إحدى الدول الأساسيّة في المحور الإيرانيّ الذي يسعى إلى تعزيز حضوره في المنطقة، واستعادة مجده الفارسيّ. وهي حلقة الوصل بين طهران وحزب اللّه والمقاومة الفلسطينيّة. وهذا يعني أنّ طهران لن تتخلّى عن النظام السوريّ لأن المسألة بالنسبة إليها ليست مسألة نظام بل مسألة مصالح ستدافع عنها حتى النهاية. ولعلّ اتجاه الأمور نحو التسلح يعطيها الغطاءَ الكامل لتقديم الدعم العسكريّ لحليفها.

ومن جهة ثانية، تسعى أنقرة لاستعادة مجدها الإقليميّ الذي بدأتْ تتطلّع له منذ انهيار الاتحاد السوفياتيّ، ويتمثّل في «بناء عالم تركيّ يمتدّ من بحر إيجة إلى تركمانستان الصينيّة» على حدّ تعبير الرئيس التركيّ الراحل تورغوت أوزال. (7) يضاف إلى ذلك ما تمثّله سوريا بالنسبة إليها اقتصاديًّا، وكبوّابة رئيسة إلى العالم العربيّ ككل. كما تنبغي الإشارة إلى نزوعها الدائم إلى إنهاء وجود حزب العمّال الكردستانيّ على الأراضي السوريّة، وهو سرّ تقاربها مع أربيل كما ذكرنا سابقًا. وهنا أيضًا ستعمل أنقرة على الدفاع عن مصالحها حتى النهاية. ولعلّ ذهاب أقسام من المعارضة السوريّة إلى العسكرة كان بدفع من أنقرة التي تحتضن «المجلس الوطنيّ السوريّ.» ذلك لأنّ أنقرة لم يعد بوسعها الخروجُ خاسرة، وستدافع عن مصالحها حتى النهاية. وهو ما تفعله من خلال تأمين كلّ أشكال الدعم للمعارضة السياسيّة والمسلّحة.

ولأنّ درء الاعتراض داخل الخليج يتمّ بتجفيف منابع الخارج، تعمل قطر والسعودية على منع وصول الربيع إليه. وهذا لا يتمّ إلا بحرف الربيع عن مساره الديمقراطيّ إلى مسار الصراع السنيّ ــ الشيعيّ، عبر تضخيم الخطر الإيرانيّ إلى حدّه الأقصى، مقابل إهمال الخطر الإسرائيليّ. وهنا يبدو التعاونُ القطريّ ــ السعوديّ ــ التركيّ واضحًا.

على صعيد رابع، فإنّ إسرائيل هي الدولة الأكثر اهتمامًا بما يجري في سوريا، إذ تضع نصب عينيها: تفكيكَ الجيش السوريّ، وتدميرَ ترسانة الأسلحة السوريّة، كما حدث في ليبيا. وهنا ستبذل إسرائيل كلّ جهودها لإبقاء الصراع على ما هو عليه، من خلال دعم كل الأطراف بما يحقق مصلحتها، ولاسيّما أنّ خسارتها حليفها (مبارك وبن علي) ستدفعها إلى البحث عن مرتكزات أخرى، خاصة على حدودها الشماليّة.

انطلاقًا ممّا سبق، فإنّ خيار التسلّح، الذي كان بدفع من هذه الدول الإقليميّة ودعمها، تشكّل غطاءً لأجندة تلك الدول التي لا تهمّها حريّةُ السوريين، وإنْ تشدّقتْ بها ليل نهار، لأنّ بلدانها تعاني سجلاً مخجلاً في مجال حقوق الإنسان، والأولى أن تلتفت إلى حريّة شعوبها قبل أن تناضل لحريّة السوريين!

هنا قد يظنّ البعضُ أنّ الحسم العسكريّ قد يفيد. نعم، قد يؤدّي التسلّح إلى إسقاط النظام وتفكيك الجيش السوريّ وترسانته العسكريّة كما تريد تلك القوى، ولكنه لن يؤدّي إلى بناء دولة وطنيّة ديمقراطيّة. فطهران لن تقف مكتوفة الأيدي إذا سقط النظام لأنّ الساحة السوريّة هي ساحةٌ يحتاجها الأمنُ الإقليميّ الإيرانيّ، كما التركيُّ والسعوديّ؛ لذا ستسعى طهران إلى دعم ميليشيات خاصة بها، تَستنزف المنتصرين، كما فعلتْ في العراق لمواجهة الأمريكان، وسيساعدها في اتّباع هذا السيناريو امتدادُ المسألة السوريّة إلى لبنان حيث لطهران وجود فعّال. ومقابل ذلك ستدعم الأطرافُ المقابلة جهاتٍ تابعةً لها، ليبقى السؤال: أين مصلحةُ السوريين من كل ذلك؟

وعلى الصعيد الدوليّ، تشكّل سوريا المنفذَ الوحيدَ لروسيا على المتوسّط؛ عدا عن كونها سوقَ سلاح محسوبةً تاريخيًّا للروس. وهذا يعنيّ أنّ موسكو لن تسمح أبدًا بضرب مصالحها في سوريا. وإذا كان بقاءُ النظام السوريّ سيؤمّن لها تلك المصالح، فستقف إلى جانبه عسكريًّا. وهذا يعني أنّ خيار التسلّح في سوريا في ظلّ عدم مراعاة المصالح الروسيّة يعني دخول روسيا طرفًا في أيّ صراع عسكريّ داخليّ، مباشر أو غير مباشر. إنّ ما يَحكم موقفَ موسكو، وكذلك بكين، هو إدراكهما أنّ واشنطن تسعى إلى حصارهما. ذلك لأنّ سقوط سوريا سيعني بعد فترة: أ) سقوط إيران، التي تأخذ بكين ثلاثين بالمئة من نفطها؛ ب) اقترابَ الأمريكان من آسيا الوسطى، حيث النفوذ الروسيّ والصينيّ. ثم إنّ الصعود الإسلاميّ في المنطقة العربيّة جعل بكين وموسكو تخشيان من القادم، لأنّ آسيا الوسطى ذات حضور إسلاميّ واضح، وهما تخافان أن تحاكيَ الربيعَ العربيَّ الأقليّاتُ الإسلاميّةُ داخل البلدين (داغستان والشيشان في روسيا، والإيغور في الصين) وكذلك غيرُ الإسلاميّة والعرقيّة، خاصة أنّ واشنطن أعلنتْ منطقة المحيط الهادي منطقة حيويّة لها في قادم الأيام، وهو أمر يستهدف بكين بالدرجة الأولى. (8)

مقابل ذلك، تدرك واشنطن وبعضُ القوى الأوروبيّة أنّ ما يحدث في سوريا قدّم لها فرصة سانحة لكسر المحور السوريّ ــ الإيرانيّ، وللتخلص من سلاح المقاومة اللبنانيّة والفلسطينيّة. وستعمل على دعم المسلّحين بغية تحقيق تلك الأجندة؛ فإنْ لم تضمن وصول نظام يدور في فلكها، فإنها ستسعى إلى إبقاء سورية في حالة الاستنزاف الكاملة. وهو ما يحصل الآن.

إذن، تستقرّ القراءةُ الإقليميّة والدوليّة على أنّ الساحة السوريّة، في ظلّ السلاح، ستتحوّل إلى مكان لتحقيق أجندة الآخرين من دم الشعب السوريّ النبيل، الذي لن يبلغ حريّته في هذه الحالة، حتى لو سقط النظام، لأنّ الإشكاليّات التي سيفجّرها في الداخل السوريّ ستكون أكبر من أن تحتملها الساحة السوريّة. فهل يملك أنصارُ التسلح أجوبةً لكلّ ما سبق؟

محمد ديبو: كاتب وشاعر سوريّ.

وهو يودّ ان يتقدم بشكر خاص إلى الصديقين باسليوس زينو ودارا عبد اللّه لقراءتهما هذا البحث قبل نشره وإبداء ملاحظاتهما القيّمة.

(1) أوس مبارك، «ليس شرخًا في الثورة!، » الحياة، 4 /5/ 2012.

(2) «الأسعد: سلاحنا يكفي بالكاد لحرب عصابات... وأداء المجلس الوطنيّ انعكس علينا، » الحياة، 30/ 3/ 2012.

(3) يزيد صايغ، «الاختبارات المقبلة للمعارضة السوريّة، » مركز كارنيغي للشرق الأوسط، تاريخ 2012/4/19.

(4) http://ar. aswataliraq. info/%28S%284jlchp451wlio1bfvoimjh5529%29%29/Default...

(5) سليمان يوسف، «سورية: خطر التقسيم والنزاع على إقليم الجزيرة، » سيريا بوليتيك (نقلا عن السياسة الكويتية)، 2 /5/ 2012.

(6) البشمركة هي قوات مسلحة تعمل بإمرة مسعود البرزاني. أما الغريلا فهي الميليشيات المشكلة من قبل حزب العمّال الكردستانيّ.

(7) لمزيد من المعلومات عن الدور التركيّ يمكن قراءة مقال محمد سيد رصاص، «الأردوغانيّة ومآزقها،» الأخبار، 4 /6/ 2012.

(8) لمزيد من المعلومات راجع:
http://ara. reuters. com/article/worldNews/idARACAE85205W20120603

عن مجلة الآداب | عدد ربيع 2012

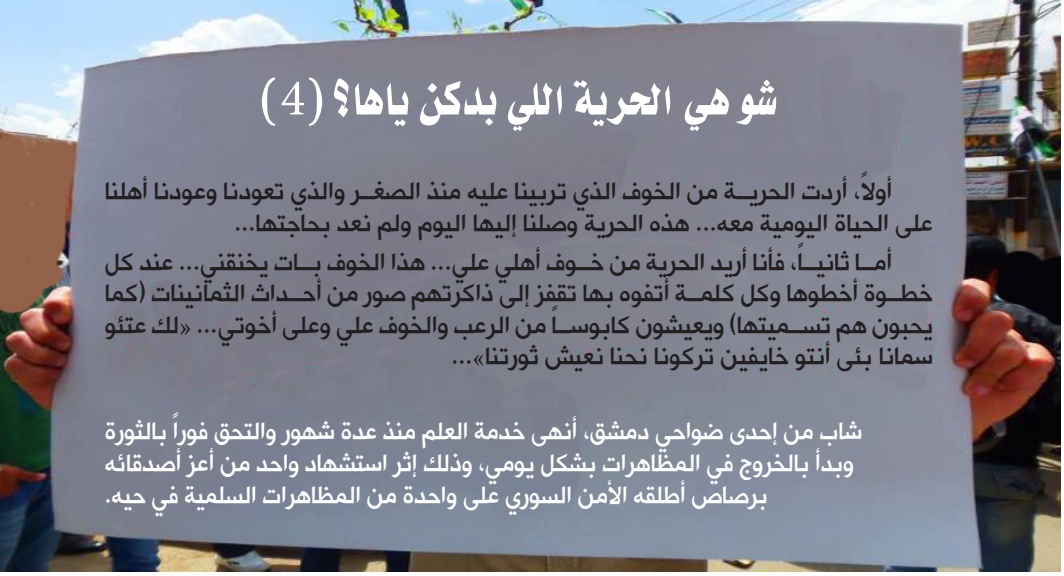

شو هي الحرية اللي بدكن ياها؟ (4)

أولاً، أردت الحريــة من الخوف الذي تربينا عليه منذ الصغــر والذي تعودنا وعودنا أهلنا على الحياة اليومية معه... هذه الحرية وصلنا إليها اليوم ولم نعد بحاجتها...

أمــا ثانيــاً، فأنا أريد الحرية من خــوف أهلي علي... هذا الخوف بــات يخنقني... عند كل خطــوة أخطوها وكل كلمــة أتفوه بها تقفز إلى ذاكرتهم صور من أحــداث الثمانينات (كما يحبون هم تســميتها) ويعيشون كابوســاً من الرعب والخوف علي وعلى أخوتي... «لك عتئو سمانا بئى أنتو خايفين تركونا نحنا نعيش ثورتنا»...

شاب من إحدى ضواحي دمشق، أنهى خدمة العلم منذ عدة شهور والتحق فوراً بالثورة وبدأ بالخروج في المظاهرات بشكل يومي، وذلك إثر استشهاد واحد من أعز أصدقائه برصاص أطلقه الأمن السوري على واحدة من المظاهرات السلمية في حيه.

بشير كفاح

سيشهد العالم أننا أول شعب وبرغم جراحه الغائرة استطاع أن يحول جنائزه إلى أفراح.. أول من يرقص فيها جثمان الشهيد.. يكيت كثيراً حين شوه كلاب الإجرام هذا المشهد الرائع .. غاليتي (زملكا) إنهم يحاولون قتل آخر ترياق للحياة في قلوبنا

خالد الحاج بكري

صاحب البيت الــذي قــال لنازحي دومــا أن الإيجار الشــهري خمســين ألفاً أو تســعين.. ودفع ألهائمين على وجوههم إلى العودة إلى دوما لتستقبلهم سكاكين الأسد.. ساتساءل كثيراً.. مَن من ورثتــه.. الأجدر بدفع ثمن الرصاصــة التي يمكن أن تستقرّ فجأة.. في جبهته القذرة؟!

فارس الحلو

أيها الجيش الحر البطل:
كل أسـرى الجيش الحر ومن دون استثناء، هم أمانة ثمينة في حق الثورة والثوار، والشهداء بخاصة، قامت الثورة عليهم لأجل مستقبل أطفالنا. نريد أن نحاكمهم، لا أن نقتلهم.
نريــد أن نحاكمهم كي نعرف أسـرار قهرنا، وكيف تأمــروا علينا، وكيف أخضعونا، وكيــف خانونا، وكيف صنفونا، وكيف أفســدونا، وكيــف باعونا، وكيف ســحروا منــا، وكيف اشــترونا، وكيف دمّروا أحلامنا، وكيــف صبوا الحقد في نفوس رجالهــم وعلموهم الذبح والقتل السهل.. نريد أن نعرف حجم تخلفنا.. نريد أن نعرف مصير كنوزنــا، وثرواتنــا، وطاقاتنا المنهوبــة.. وفي أي البنــوك أودعوا حقوقنا.. نريد أن نتذكركم دائما.. لا نريد أن نسـرق أرواحنا مرة أخرى.. والى أبد الآبدين.. نريد أن نحاكمهم، لا أن نقتلهم.. لنحافظ على عظمة ثورتنا.. والله الموفق..

لينا مولا

دمشــق يا سـيدة النور.. تغص اليوم شوارع مدينتي بسيارات السوزوكي.. سيارات تنقل أثاثا..

يحيى جابر

المعارضة السورية تتمرن على السياسة كأنها في حيص بيص.. والنظــام يمارس السياسة كأنها مقالب غوار.. وحده الشــعب السوري صحّ من النوم.. وياشام ياست الحبايب يامووووو

رشيد كيوان

لمــا كتــب التاريخ كانــت تحكي عــن بطولة أهل الشــام ضد الفرنسـيين ونضالهم وشــجاعتهم ونخوتهــم كان المقصود أهل الغوطتيــن الشــرقية والغربية:أهل دوما وحرســتا وبرزة والمزة وكفرسوسة ودمر وقدسيا وداريا و.. اقتضى التنويه

إسلام أبو شكير

ما يحدث في هذه اللحظات أن دير الزور وشــقيقاتها ينســجن لسوريا الثوب الذي يشبه ثوب شقيقتها الكبرى مصر.. آن لهذا الثوب أن يكتمل..

عروة النيربية

لم تشهد ثورة عربية أخرى مدينة يحولها نظام إلى خراب مثلما فعل النظام في حمص.. لم تشــهد ثورة عربية مثل هذا العدد من الشــهداء.. لم يشهد التاريخ المعاصر هذا العدد من القتلى تحت التعذيب أو مثل هذه الوحشية في الذبح.. لم يشهد العالم انتصارا مثل انتصار الشــعب الســوري العظيم القادم.. فتوقفوا عــن المقارنة السـخيفة، توقفوا عن تعليــق مخاوفكم وجبنكم ورخص صمتكم على شماعات أخرى غير ضمائركم.

نينار حسن

يا طرطوس.. يا ميديا السورية.. استيقظي

كوليت بهنا

بالفيلــم المؤثر والهــام اللي بثتــه العربية من شــوي.. ما لحقت اسمه.. مقاطع فيديو للانشقاقات العسكرية الأولى.. الشّباب كلهم حليقيــن ودقنهم ناعمة وعم تلمع.. بينما صرنا بعدين نشــوفهم بدقون طويلة وهادا اللي خلى البعض يتهمهم بمدري شو ومدري شو.. الحقيقة وقت انشقّوا ماجابوا معهم عدة الحلاقة.. وبكرا بس يخلصوا رح يرجعوا يحلقوا دقونهم ويلمعوها ويحطوا أفتر شــيف.. وبدي كون أول وحدة بتاخد بوسة الحلاقة.. نعيما..

رهف السباعي

أقسى أنواع الانتظار.. انتظار نصرك يا وطن!!
لأن ثمن كل دقيقة انتظار ندفعها من دماء أحبتنا

إياد كلاس

و لــو عرفانين إنــو ضحة "تدميــر الطائرة التركيــة" رح تكون أكبر من وقع آلاف الشــهداء ومئات آلاف المتضررين كنا طلبنا بإسقاط "الطائرة التركية" بدل ما نطالب بإسقاط النظام!!

جولان حاجي

لا تقلقوا، يطمئننا المقيمون على قمم الموت والذعر، ما أعمق هذا الحب، وما أقسى هذه الرأفة.

ماجد كيالي

وجع الســوري هو وجع الفلســطيني.. ودم الفلسطيني ما بيفرق عن دم الســوري.. والشهيد الفلســطيني مثل الشهيد السوري.. والمعتقــل الفلســطيني مثــل المعتقــل الســوري.. والمشــرّد الفلسطيني مثل المشرّد السوري.. ثمة فلسطينيون وفلسطينيات قتلوا واعتقلوا واختطفوا وشرّدوا من كل المخيمات.. الطغيان لا يميّــز.. القتل الأعمى لا يميّــز.. الحرية والكرامــة والعدالة حق للجميع.. أمل السوريين هو أمل الفلسطينيين..

مارسيل شحوار

اسمحلي شوي.. يعني أنت بلا مؤاخذة فهمان المعادلة غلط.. نحنــا مش عاملين ثوْرة لأنو «بنكره» بشــار! لأ حبيبي لأ.. نحنا عاملين ثورة لأنو « منحب « سوريا

محمود محمود

ذات صيف.. حملتُ الجولانَ على ظهري وسافرت إلى دمشق. بحثت وبحثــت طويلاً في جبل قاسـيون، حتى وجــدت البقعة المناسبة، وزرعت فيها جولاني...
ذات ربيع.. حملتُ دمشــقَ على ظهري وعُــدت إلى الجولان. بحثت عن بقعة مشابهه في جبل الشيخ، وزرعت فيها دمشقي.

عماد حورية

اليوم بالنوفرة هدّ ع كتفي الطير.. ســألت الطير يا طير ايش حال الدير.. ســكت.. سكتْ.. وقللي يا دُمصي أهلك بخير.. يا دير أنا معاكي.. وللموت.. ولموت كمان..

إياس المقداد

يا هامة العز.. لن تهزم جمالك كل تلك القذائف الغادرة..

غسان جباعي

الإســلاميون الذيــن خوفنا منهــم النظام، تبين أنهــم أكثرنا نبلا وانفتاحــا وتضحية من أجل العدالــة الاجتماعية والانفتاح والكرامة الإنسانية.. والجامع الذي خوفنا منه بعض العلمانيين تبيــن أنــه ليس جامعا للعبــادة فقط بل هو أيضــا منبر لجمع الأحرار ومدرسة للوحدة الوطنية..

ديمة حمامية

تذكير لتعريف موجز لـ "الممانعة":الحليف في إسرائيل وقصف مخيم اللاجئين الفلسطينيين في درعا وسقوط خمسة عشر شهيداً..

فرج بيرقدار

لستُ مسيحاً لأغفر، ولست تافهاً لأنتقم بشكل أعمى.
قد أسـامح عما حدث معي، ولكني لا أسـتطيع أن أسـامح حين يتعلق الأمر بشـعب. ولهذا قد أغفر للثورة حتى أخطاءها، وإن كنت لسـت مع ذلك. كم أتمنـى أن لا ترتكب الثورة والثوار أي خطأ يحشرني وأمثالي في الزاوية.

سهى رحال

الخوف على الثورة ليس فقط من قبل من يســتغل كل صغيرة وكبيرة ليجيش الأحقــاد والكره الانتقام.. الخــوف أيضا عليها ممن يستغل كل صغيرة وكبيرة ليطعنها في الخاصرة..

باسم رفاعي

مــازال لدى النظام قدرة هائلة على تدمير البلد، لكنه فاقد لأي قدرة على البناء بكل أشكاله!!!

إياد عماشة

من بداية الثورة "الجهات المختصة" تداهم يومياً عدة "مصانع للأسلحة"، تملكها "العصابات المسلحة"..!! لعمى.. لعمى.. والله سوريا طلعت دولة مهمة بصناعة الأسلحة وما حدا عندو خبر.

ياسين الحاج صالح

يا ترى النظام عم يحاول ينسـينا المجازر بالمجازر؟ اليوم ذكرى مذبحة تدمر 1980. ونعم العائلة والله!

ندى كرامي

لم يبقى ولا سيناريو واقعي أو خيالي لاقتحام مقر الإخبارية السورية وقتــل موظفيــن فيه إلا وتم تداولــه بين الصفحــات. مهما كانت القصة، لا للقتل، لا للعنف النفسي والجسدي، لا لحجز الحريات

رستم محمود

أكثــر مناظــر تلك البلاد عمــراً، كانت تلــك القرى التــي تمتد في سهوب مدينة دير الزور، كنا نمر بها في ترحالنا الدائم بين دمشق والجزيــرة، لا كهربــاء ولا مــاء ولا مدارس، بجانــب كل منها لافتة مكتوب عليها: «لا حياة في هذا القطر إلا للتقدم والاشــتراكية»!!. لتلك العذابات الممتدة سـنين، حيث أهلها هم صناع ثورتنا.

أنا لــم أعد أســيطر على الأشــياء، فلا حقيبتي توصد و لا مزلاج بابي ينفتح..

حتى عقارب ساعتي توقفت وقاربي قد لا ينتظر..

لم اشــتر حقيبة من قبل، فأنا لم أبارح هذا المكان منــذ عقود، و لم أعد أعرف ما يضعه الناس في الحقائب.

هل ابدأ بالذكريات، فأخذ ما أفرحني و أترك ما أوجعني، ومتى كان ذلك سهلاً؟!

يأخذ الناس ما لا يستطيعون التخلي عنه، وأنا حتى حجارة هذا المكان صارت جزأ مني..

أي قارب سيتســع لكل البســاتين التي عشقتها و الأشجار التي حفظت أشعاري؟

أي بحر ســأدفن فيه حبا لم ينفك يكبر منذ خمسين عاما؟

أي نور في العالم ينسيني بريق عيون الأطفال حين يروني؟

و بماذا اســتبدل كل الصــور التي تعج بها مخيلتي عن شعب رائع؟

شــعب يعرف كيــف يدخل الفــرح إلى قلبك، مهما كبرت أحزانك.. و أحزانه..

الأب باولو دالوليو
ناسك في دير مار موسى الحبشي

الجيش الحر بين لغة الجلاد وتبرير الانتهاكات

يمثل اليوم الجيش الحر، طريقا للخلاص لدى الكثيرين وأيضا حالة رعب لآخرين. الجيش الحر مازال بدون تعريف واضح محدد المعالم حتى الآن، يحيل إلى "مجاميع" من المسلحين، منها ما يلتزم بأهداف الثورة ومحدداتها وأبرزهم الجنود المنشقون، ومنها من لديه "أجندة" خاصة يعمل لها ومن أجلها بما فيها "عصابات طلب الفدية" وبما فيها مجاميع أسسها النظام أو اخترقها لتشويه صورة الثورة. وبدون تحديد واضح المعالم ورسم هيكلية له، سنبقى بحالة من التخبط، ويظل أي اقتراب أو نقد "لهذا المسمى" يمكن أن يجر على المعارضين تشبيحا لفظيا. صار يتعداه إلى التشبيح الجسماني، وليس انتهاء إلى إصدار أحكام قاطعة وتنظيم قوائم، تطلق هنا وهناك، تحت عنوان مثير غريب ومضحك أحيانا: "مطلوب للجيش الحر" باحثون مستقلون قدروا نسبة المنشقين من الجيش النظامي حتى اليوم بـ 2 بالمئة، أي لا تزيد أعدادهم عن 15 ألف جندي وضابط تركوا الجيش النظامي وكافة التشكيلات شبه العسكرية وانضموا إلى كتائب معنونة بعنوان عريض اسمه: "الجيش الحر". ولنأخذ بعين الاعتبار ما تعارف عليه خبراء عسكريون، إن الجيوش تتفكك أو تنهار أو تحدث انقلابا جذريا حين تصل نسبة الانشقاقات 15 بالمئة من تشكيلاتها المتنوعة. الإحصاءات الباردة بنسبة هامش للخطأ بين 3 -5 بالمئة. تقول: إن الجيش النظامي السوري، يفر منه سنويا، أربع إلى خمسة آلاف جندي في السنوات العادية بهذه السنة الاستثنائية تضاعف العدد ولكن كثير من هؤلاء لم ينضموا إلى التشكيلات أو الكتائب المقاتلة في الجيش الحر.

نسبة العسكريين في كتائب الجيش الحر لا تتعدى، 20 بالمئة من حجم من حمل السلاح وانخرط في العمل العسكري. نحن الآن أمام رقم تقريبي يقول: إن عدد المقاتلين اليوم الذين يحملون السلاح، يتراوح بين 75-80 ألف مسلح مقاتل" يعملون تحت عنوان عريض اسمه الجيش الحر".

يمكن ملاحظة إن شباب الجيش الحر من العسكريين الذي عملوا ما يشبه معجزة حقيقة بالانشقاق عن الجيش، وإعلان الانحياز العلني الموثق إلى صفوف الشعب والدفاع عنه، واثبتوا خلال الأشهر الماضية أنهم من لدن الناس وأحلامهم وأوجاعهم وضربوا أمثلة أخلاقية وإنسانية فذة. هؤلاء هم حقيقة الجيش الحر. عقيدتهم وطنية وإيمانهم بشعبهم وعدالة الثورة وقيمها الأخلاقية هو المحرك الأول والأخير لهم. كما أن بروز مظهر ديني هنا أو هناك أو انخراطهم في كتائب تحمل مسميات ذات مرجعية إسلامية لا يؤثر على دورهم الذي يعرفه الكثيرون ممن خبروهم.

• المشكلة ليست في التسميات أو في انخراط مدنيين في صفوف الجيش الحر، فهذا حدث عبر التاريخ عند انطلاق "المقاومة الشعبية"، وليست المشكلة أيضا في وجود "عصابات جنائية"، أو حتى "عصابات تتبع النظام" تحت يافطة الجيش الحر، بل في غياب الضبط والمرجعية والقيادة الفاعلة لدى الجيش الحر. وهو ما يسهل فرز الحابل عن النابل وتنقية الجيش الحر من الشوائب التي لحقت به أو ألحقت نفسها به.

• هذا يتطلب عملاً واسعاً، وأول هذا العمل، كتابة ميثاق شرف للعمل العسكري داخل صفوف الجيش الحر، يكون بمثابة البوصلة لكل "المقاتلين" في صفوفه. ومن ضمن الإمكانات المتاحة أن يكون هناك مركز إعلامي، إن لم يكن مركزا عسكريا، في كل المدن والمناطق التي يتواجد فيها الجيش الحر لرصد هذه الظواهر وتوثيقها ومن ثم يصار إلى معالجتها لاحقا. وأيضا عليه بسرعة أن يكون المرجعية لأي كتيبة تعلن تأسيس نفسها. فإذا لم يعط الجيش الحر تصريحا بأن هذه الكتيبة تابعة له فعليا، لا تعطى الشرعية الثورية ولا الشرعية الأخلاقية. ولا تعامل من قبل الجيش الحر ومن قبل حاضنته على أنها منتسبة له. ولا تعطى هذه الشرعية دون دراسة "وضع" قائد الكتيبة وحتى عناصره إن أمكن.

ومن ضمن عمليات الضبط رفع الشرعية عن حالات القتل التي تجري خارج "ساحات المواجهة" فمن الضروري أن يكون للجيش الحر في كل منطقة "مرجعية قضائية" تتكون حصرا من ضباط أو ضباط صف منشقين بمرجعيات حقوقية دارسين للحقوق أو مطلعين، تعاقب الخارجين عن ميثاق الجيش الحر ومحددات عمله.

ظواهر تحت اسم الجيش الحر

(1) كاميرا مصوبة من الأسفل على نافذة في الطابق الثالث، صوت حامل الكاميرا يؤكد أن مجموعة من أحرار النبك تقوم بعملها لمعاقبة "جاسوس للأمن". لحظات يعلو الصراخ الهستيري والرجاء والتوسل من دون جدوى. يظهر جسد "الجاسوس" [العواينى] من النافذة، متشبثا بكل ما لديه. قوة الحكم المبرم تدفع بجسد الرجل إلى أسفل ومن ثم يتم رميه ساقطا من الأعلى. من الجيد أن الكاميرا لم تذهب لمعاينة "الجاسوس" وكيف لفظ أنفاسه الأخيرة

(2) في توضيح مرافق لمقطع فيديو رفع على اليوتيوب بتاريخ 2012/06/27 مانصه: "كتيبة شهداء حلب للمهام الخاصة" قامت بقتل الشبيح سميح علي رقية. المعروف بإجرامه في مدينة حلب وهو من الطائفة العلوية والى كل شبيح لن يكون مصيركم إلا القتل والسحل أيها القتلة الخونة..

نحن الآن أمام حالات قد تكون مبررة من قبل الكثيرين من "داعمي الثورة" وأصلا قبل هذه الحوادث تورط بعض الناشطين المدنين والسلميين، بفتاوى، بقتل "الجواسيس". لنجد أن الانخراط في العنف سواء كان تبريراً أو ممارسة قد تصاعد ووصل إلى مراحل متقدمة. وفي ظل هذا، يتم تجاهل أن أحد أسباب هذه الثورة هو قتل الناس وخطفهم وتغييبهم في السجون من دون محاكمات عادلة.

الفيديو الثاني أو الجريمة الثانية: تحتوي على شهادة من صديق للقتيل تقول عكس ما حاول قتلته إدعاءه والترويج له. إذ يقول صديقه في رسالة أرسلها لأحد النشطاء ما نصه: الشخص الذي تظهر جثته في الفيديو هو الدكتور سمير علي رقية من مدينة بانياس من الطائفة العلوية يحمل شهادة الدكتوراه في هندسة الطيران من جامعة تولوز في فرنسا.. أعرفه معرفة شخصية فهو صديق لي (...) من خيرة شباب بانياس خلقا وعلما وأدبا (...) وكل أهالي بانياس يشهدون بذلك وأطلب من أصدقائي البانياسية على الصفحة أن يدلو بشهاداتهم بخصوصه... ويطالب صديقه المنخرط في الثورة الجيش الحر أن يتحقق من حقيقة الكتيبة أو الجماعة التي قامت بتصفيته فلربما تكون مدسوسة على الجيش الحر أو تكون مجموعة من الزعران ادعوا ذلك. وإذا كانت حقا من الجيش الحر أطالب قيادة الجيش الحر بمحاكمة المجرمين قتلة الدكتور سمير وإنزال بهم ما يستحقون من عقاب...

كيف يمكن التعامل مع ظواهر كهذه آخذة في التمدد والاتساع؟

هناك تبرير لجرائم فظيعة بحجة الجرائم الأفظع التي ارتكبها ويرتكبها النظام. والأنكى أن علينا أن نقبل ولا ننتقد هذا العمل، بحجة أن المقتول جاسوس أو شبيح. سلم بذلك الكثير ممن هم في صفوف الثورة. وبأن الثوار فوق النقد نظرا لهمجية النظام!!

هنا نحن على محك أخلاقي وإنساني، حين تصل الضحية إلى مرحلة الامتلاء بالانتقام تكون قد أصبحت مشابهة تماما للجلاد وربما تفوقه أحيانا.

ماذا لو اكتشفنا لاحقاً [كما في حالة سمير رقية] أن الأمر هو تصفية حسابات شخصية أو أنهم مجرد فرقة ترويع أو كتيبة قتل مضادة نشأت بفعل القتل المنهجي الثابت؟ ماذا لو اكتشفنا أنهم يستخدمون الثورة لمصالح ضيقة؟ ماذا لو كان النظام هو من يقوم بهذه الممارسات لترويع الناس وتخويفهم على مستقبلهم في حال انهياره؟

هذا السؤال الذي لا يريدُ أحدٌ من قادة الثورة الميدانيين أو "التنسيقيات" أو "مجالس قيادات الثورة" أو الناطقين الإعلاميين للفصائل المختلفة ؟ الوقوف عنده. هل فعلا هؤلاء "القتلة" من الجيش الحر؟؟

هذه الفيديوهات التي توثق عمليات إجرام، وتنفيذ حكم من دون أي آلية قانونية أو حتى شرعية، وإشهاره بهذه الصورة المرعبة، ماذا حقق ولمن؟ هناك ألف سؤال وسؤال توجه في معاينة حالة كهذه. كلها تودي إلى حقيقة علينا مواجهتها؛ هل هذا من رحم الثورة التي نؤمن بها واستشهد من أجلها الآلاف ومازالوا يستشهدون. ؟

سنكون حاسمين باتجاه أنفسنا وثورتنا وبدون أي مثالية زائدة. كل من وجد لهذا العمليات المقززة عذراً فليعرف أن النظام وعصاباته، قد تمكنت من انتهاكه وهو في طور التحول إلى شبيهٍ لمن ثار عليه. المذؤوب يمص دم الضحية، ويحولها إلى مذؤوبة أقرب إليه.

والجدير ذكره أن هذه الحالات باتت أفعالاً تتكرر أسبوعيا وأحيانا أكثر من مرة في الأسبوع في كل الأماكن التي فقد النظام بها السيطرة الجزئية أو على هوامش المناطق التي فقد فيها السيطرة الكليّة، حيث أصبحت عمل عصابات جنائية مختصة بالقتل والخطف لا تمت إلى الثورة بصلة، وقد يكون بعضها مرتبطاً بالنظام ولكنها تستخدم عنوان "الجيش الحر" أو تحت تبريرات سوء الفهم والحوادث الفردية التي أضحت أقرب إلى "الظواهر"

لماذا أصبح سوء الفهم "مصلحة عليا" كيف يمكن تفكيك هذه العبوة الناسفة للسوريين؟

مطلوب اليوم من الجيش السوري الحر أكثر من قدرته ربما، ولكنه يبقى مسؤولا عن محيطه الحيوي وأيضا عن الكتلة البشرية الداعمة له والحاضنة والمؤمنة به. مطلوب منه أن يرتقي ليصبح "الجيش الوطني الحر" ويعمل على حماية الأخلاقيات الأساسية التي وجد من أجلها. وعلى كل فصائل الثورة أن تتجرأ وتدعم معنويا مسمى الجيش السوري الحر، وتفكك ما علق به وتفضح من يستغله، وأيضا تدخل إلى صلب الوعي المعطوب بالعنف ومساعدته أن لا يشبه قاتله.

دعوة لتبني الجيش الحر نفسياً حتى من الناشطين المعارضين للعنف بكل أشكاله ومعنوياً وماديا من قبل الجميع هو ما سوف يساعده للتخلص من الكثير مما علق به. وتقوية وسائل الاتصال به والإعلام عنه، ليكون هو المرجعية الأولى والأخيرة للإخبار عن كل عملية بشفافية ومصداقية ينتهجها المتحدثون باسمه.

الجيش الوطني الحر هو ضامن المستقبل، مثلما هو أحد المشاركين الأساسين بصناعة الحاضر.

أبراهة، المعتقل الصوتي (الجزء الثاني)

■ شهادة: إبراهيم السراقبي. ■ كتابة: علاء ألرش.
■ لوحات: الفنانة ليلى. والفنان ميكا جي.

الشخصيات:

إبراهيم السراقبي: ثائر معتقل.
صهيب السراقبي: أخ إبراهيم، ثائر معتقل.
أبو إبراهيم السراقبي: والد إبراهيم، طبيب.
أنيكو: صديقة إبراهيم، هنغارية.
شادي مارينا: ثائر معتقل، صديق إبراهيم.
المقدسي: محقق
زهر: مجند من درعا

الفصل الثالث:
التوجه إلى المدن المنسية

سيتوجه للمدن المنسية بحثاً عن (شادي). كان يرغب التأكد، من أن صديقه الذي أعتقل مثله، قد قابل أنثاه شادية في منفردة إدلب. السؤال الذي يشغل (إبراهيم) منذ خروجه. وبعد أن فشل في روي حكاية (أبراهة) إلى أهل سراقب، عرف أن عليه لقاء (شادي مارينا) لكسر الخوف، للتأكد أن شادي روّى للناس أنثاه، كأن ملاحظة المحقق الشهير (المقدسي) كانت محقة: (أنت لم تكسر الخوف ولا مرّة. وإنما صورت فقط أناساً غيرك كسروا الخوف. هذا ما يعجبني فيك يا إبراهيم).

استقل الباص متجهاً إلى المدن المنسية، وهبط من الحافلة المغبرة عند (عفرين)، كان عليه السير على قدميه شمالاً حتى قرية (سنخار)، حيث يحتل شادي مع رفاقه الثوار المسلحين فندقاً حمدانياً، كما علم (إبراهيم) من أهالي المنطقة الكرد. غز السير تحت حر حزيران، وشمس التلال القاحلة لأراضي الشمال. وحدها ألوان السماء من فوقه تتبدل. قال الدلال الكردي: (تسير شمالاً قرابة 50 كلم. تصل تل عفت، شادي مارينا يتمركز مع مسلحيه هناك، داخل نزل حجري من العصر الحمداني)، وأخبره الكردي أن الأسلحة تهرب لرجال (الآغا شادي) عبر الحدود التركية. فكر إبراهيم بالموقع الجيد في هذه التلال القاحلة الجرداء، التي لن يعبرها أحد للقضاء على فتية من المسلحين الذين لم يبدو أنهم يزعجون النظام الديكتاتوري بأفعالهم

تحركت رياح رملية أمامه، وحجبت عنه الرؤية بعيداً. وفي الفراغ الممتد شكلت حركة الكثبان رداءً أنثى يتطاير في الهواء، الرمل الأبيض يلتف كرداء مكوّر تحت نور الشمس. تهيأ له السراب أشكال فتيات ترتفع وتغيب، وكالعطش، كان (إبراهيم) يشتاق صوت (أبراهة)، فيركض بين الكثبان المتشكلة ليلتحم بها، ويغطي وجهه من رمل تشكل النساء.

فكر بالأميرة ياقوت، وحين يتذكر (بردة)، يشعر (إبراهيم) بحرقة في القلب، نغزة صغيرة تنبؤه بأنه فشل، وسيفشل في روّي حكايته. وبعد أن ابتعد 25 كيلومتراً عن الطريق العام، أصبحت الشمس أشد حرارة، والرؤى تداخلت بين كثبان الرمال، والأوهام. سيعثر على أول أحرار سراقب، وسيمتلك قوة حكى من جديد. تحت هذه الشمس، يتذكر العالم الحلمي، حين ظهرت له (أبراهة) للمرة الأولى.

في ليلة المنفردة الثانية، تابع إبراهيم حكاية الكشاف، حكاية الليلة الماضية، شعر بتلك القدرة على استكمال الماضي صوراً، حكايات، لا تنتهي، وتستمر يومياً بعد يوم. فيبدو أن انتبه مدربو الكشاف في بودابست، للتقارب الجسدي بين الزميلين (إبراهيم وأنيكو)، واحتاروا ما يفعل المشرفون أمام رغبات جنسية طفولية من هذا النوع. ولم يرغب القائمون على المخيم إبعاد الطفلين بقسوة أحدهما عن الآخر. وأمام باقي المعلمين قال مدير الكشاف البدين مدعياً الخبرة: (دعوا الأمر لي. ليست أول حالة. نحنا منواجه هي الحالات، وممكن نعمل ما فعلناه الكشاف الماضي بحالة مماثلة. لنرسل لكل إلرفيقين رسالة من مغنيّهم المفضل مثلاً. لا تقلقوا. لا تقلقوا). وبعد أقل من أسبوع، وصلت رسالة إلى مخيم بودابست الصيفي من ستديو الموسيقي الأميركي (الفيس برسلي).

كانت الرسالة موجه إلى الزميل (إبراهيم السراقبي) في مخيم العاصمة. (رسالة من أميركا، من الفيس برسلي)، ردد زملاء (إبراهيم) من الفتيات والفتيان، وهم يحثونه للتوجه إلى غرفة المدير لاستلامها. في الرسالة يطلب ملك الروك، معشوقه إبراهيم، ألا يلمس جسد زميلته اللطيفة (أنيكو)، ووصل مع الرسالة بوستر لأسطوانة ذهبية كتب عليه: (من الملك، إلى إبراهيم).

كان المعتقل ساكناً في ليل زنزانته، وكأن الذاكرة لفظت كذبةً كبيرة في العتم، تحتاج التحقق من حقيقتها. " كذب مدير الكشاف البدين " صاح إبراهيم وحده، مدركاً زيف رسالة ملك الروك الذهبية، " هل يعقل أن الفيس برسلي أرسل له رسالة؟" وحاول إبراهيم تذكر خطوط الكلمات، وأحرف التوقيع على الأسطوانة الذهبية. جرحته الحقيقة كأنه مايزال فتى ال 11 عاماً. وحينها تناهى إليه صوتها، يتردد من حوله في العتمة، وفي حجم زنزانة المنفردة استغرب (إبراهيم) بحثاً أو تمحيصاً، لقد سمع صوتاً الآن: (كل هذه الذكرى خدعة من مديرك في الكشاف)، كرر له الصوت الزائر مرة أخرى. لم يكن أمراً قادماً من الذكرى، بل الظلام المنفردة من حوله. (الآن تكتشف أشياء من ماضيك يا إبراهيم) بدا له كأصوات آلالات الديجيتال، مضاعفاً، لا جنس له، بين ذكر بين أنثى، بين فرقة وفرد. وانفتح نور من الجدار، بزغ كشعاع قوي من الجدار، وتكتل على نفسه، وشكل توبجا بنفسجيا ثابت في الهواء. ونطق التوبج مجدداً: (لا تقلق. ها أنا أبراهة. انتظرت لقائك طيلة حياتك). وثبت (إبراهيم) بصره على نور (أبراهة) اللا متناه، وعلى الماء الرقراق الذي يسيل على وجهها بدلاً من الأنف، وبين ذراعيها لمح ماندولين وترّي. كررت الصوت: (أنا أبراهة، الأنثى التي قمعت بداخلك كل هذه السنوات). توسعت حدقتا (إبراهيم) من حضور (أبراهة) اللوني، أرابيسك مبهر للعينين. (لم تأتين الآن؟)، قال (إبراهيم)، ليجرب قوة صوته أمام دوران الإشعاعات البنفسجية، كان سؤاله رغبةً بالفهم: لماذا تظهر الآن هذه التي تدعي أنها أنثاي، لما تظهر له في المنفردة وبعد سبعة أشهر على الانعزال. كأن كل ما عدا ذلك مفهوم له وواضح: بأن تشع أنثاه، من خلف جدار الزنزانة، دون احترام لقواعد الفيزياء، التي تعلمها في مناهج التربية الهنغارية.

(أنت ما خليتني بين من قبل. أنثاك مكبوتة متل ما بيقولو. بتعرف هي الكلمة؟ مكبوتة؟ آه يا إبراهيم. من لما اشتروا لك أهلك سروال الصبيان باللون الأزرق، واشتروا لك ألعاب الأطفال من قسم الذكور، و(أبراهة) عم تصرخ بداخلك بي فائدة؛ ساعدوني أن أبقى. أنا موجودة. أحياناً يبكي باي إبراهيم، بس ولا مرة سمعتني). وتوشّى صوت (أبراهة) الديجتال بنعومة نواح حزين، ولمح (إبراهيم) انزلاق دمعة متلألئة من التويج البنفسجي: (الفيس برسلي أيضاً منع صوتي الناعم لسنوات عنك)، كان لصوتها تعدداً في الطبقات الصوتية، وبآلاف الأصداء المتلاحقة: (هي أنت اليوم صرت بتحكي مع حالك. لأول مرة بتحلم بإرادتك. صرت عم تفكر بصوت عالي، عم تحاكي حالك. والذكريات عم ترجع بقوّة من ماضيك)، وصمتت. قال (إبراهيم): (ماني خايف منك) وكأن الخوف مكتوب عليه في هذه اللحظة. (أعرف. وحدهم الجبناء يخافون رؤية أنثى داخلهم. أنت كريم يا إبراهيم)، قالت (أبراهة) وهي ترفع شعرها الطويل عن غرتها، ثم ضربت لحناً على الماندولين: (بعض الذكور بيكون حين يقابلون إناثهم. أنا فخورة بلقائنا. عرفت أنك ستكون بهذا الجمال). وراح وجهها يتراجع في الجدار للغياب. التأمت مجدداً أطراف التويج البنفسجي، واتحدت في ضوء كرداء حرير موشى بفروع نباتات. وقالت أخيراً: (إبراهيم، كلما نادتك فتاة حبيبي، اختفي. كلما عاملتك كفتى). تذكر إبراهيم حرفي الياء التي ألصقها الجلادون به، ليهزؤون منه بسادية، غاب التويج الديجتالي في الجدار، وطب إبراهيم منهكاً قبل أن يسأل إن كانت (أبراهة) تعرف حكاية الأميرة ياقوت؟.

دخل المحقق (مقدسي): (منذ زمن لم نلتقي. آه أنت تعذب الشباب إذاً. ع كرسي الكهرباء، أتتألم؟)، ودعسات حذاء المقدسي الجلدي على قذراة البلاط. (هل تعرف يا إبراهيم إن عائلتك تذهلني. إني معجب بكم. ها هو أخوك اليوم، يصور أول فيديو كسر خوف جديد. أخوك (صهيب) يحل محلك. هذا أمر جميل أليس كذلك؟ يصور مظاهرة من جامعة القلمون. ما رأيك؟). رغم أن (المقدسي) لم يطلعه على الفيديو، لكن (إبراهيم) تخيل محتواه؛ أخوه (صهيب) وأصدقاءه في جامعة القلمون، نفس فيديو الأب السابق بجانب الجامع، وتتخيل لحظات اختيار الهتاف الأول بين المتظاهرين، لحظات تردد الصوت الأول، لحظات تعالي صوت المجموعة، الوجوه التي تتدحرج باتجاه كسر الخوف، ونظرات باقي الطلاب تحيط بأخيه (صهيب) يهتف مع أصدقاءه: (حرية للأبد، ولكل ولاد البلد).

ويكرر (المقدسي): (لا تعذب الشباب أكتر من هيك. أخوك رح يشرف لعنا بعد كم يوم. إذا ما بتعذبنا الشباب بينسوا أنو أخوك، وبيعاملوه باحترام أول ما يوصل. شو رأيك؟ اترك لأخيك سمعة حسنة في الغرفة 12)، ويضحك (المقدسي) وهو يغادر ويترك (إبراهيم) حد الموت على كرسي الكهرباء يتحلق من حوله الجلادون. (اتركوا هذا السجين. رح يموت. عيفوه)، تناهى إلى سمع (إبراهيم) صوت متعاطف. أهو المجند

(زهر) يشفق على الثائر (إبراهيم)؟ كما أنبأه بذلك اليمني (بردة). لماذا يشفق عليه أحد الجلادين؟ أيتعاطف، ربما مع جسده المؤنث؟ احتار (إبراهيم)، ومنع ضعفه عن تقبل أي نوع من شفقة الجلاد، وتمنى أن يجد نفسه في المنفردة، وحيداً مجدداً مع ذكرى (أنيكو) في كشاف الصف الثالث.

في ميكروباص أبيض، نقلوه صباح اليوم التالي إلى سجن (حلب). وعلى الطريق العام بين إدلب وحلب، كان إبراهيم مغمض العينين، ومقيد بجانب أربعة معتقلين آخرين، ومروا قرب سراقب. صاح السائق: (سراقب. مين من هون؟)، أجاب إبراهيم: (أنا). كان الطريق العام سهل التخيل من تحت الطماشة، لكن تخيل البلدة بدا صعباً؛ أبنية رمادية متداخلة، فوضى باطونية مشحونة بالحنين. ومد سائق الميكروباص من بين الشبك، وقدم سيجارة لإبراهيم من بين أصابعه: (خذ يا سراقبي. هي سيجارة)، عرف (إبراهيم) صوت الجلاد المتعاطف في جلسات التعذيب: (اسمي زهر. من درعا)، قال المجند، كأن المنطقة، مهد الثورة كافية لاكتشاف سبب التعاطف مع معتقل سياسي. دنا المجند (زهر) أكثر من أذن (إبراهيم)، وقال له: (لا تقلق السفارة الهنغارية تطالب بك. وسيعتقونك قريباً)، وسحب نفس السيجارة الأخير، بينما أعاد إبراهيم عقب السيجارة المنتهية عبر الشباك الفاصل بين الجلادين والضحايا، فدس (زهر) بيده ورقة صغيرة.

ما أن سنحت له لحظة انعزال في سجن حلب حتى فتح (إبراهيم) الورقة. كانت رسالة مقتضبة من تاجر العطور (بردة): (إبراهيم. بردة رح يجبلك أخبار عن شادي. هلق سأسافر للشمال، للمدن المنسية. بردة عرف من أصدقاء كرد أنو شادي متخفٍ في تل عفت. بردة بقلك ارو حكايأتك. يبدو مصير شادي غامض إلى الآن. لا تنس الأميرة ياقوت يا إبراهيم. سلام. صديقك بردة)، وانتهت الرسالة.

كان يقرأها في فسحة الشمس التي منحوه إياها يومياً في سجن حلب، فسحة ترابية مسورة بأسلاك شائكة، لا تتسع لأكثر من جسد واحد. تمدد (إبراهيم) على الأرض الباطونية، ليعرض جلده شبه المتعفن لحرارة الظهيرة. واغمض عينيه عن الغبار الممتزج بشعاع الشمس، مستسلماً لبرهة من الراحة. تصاعدت حرارة الأرضية في جسده، وكأنه يميع مع الباطون الأصم، ليندمجا معاً كمنحوتة برونزية صلبة. وبهدوء، تجلت (أبراهة)، كان ذلك ظهورها الثاني، ضربت لحناً على الماندولين، وقالت:(إبراهيم. أأنت بخير هنا تحت الشمس؟ ستخرج قريباً. لا تقلق. لكن هل ستحكي عني؟ أنتقابل مجدداً بعد خروجك من هنا. أو أن أصوات الأصدقاء، والمعجبات ستعلو على صوتي. ستصبح بطلاً. تتكاثر عليك الكلمات والأصوات الخارجية)، كانت ألوان (أبراهة) هذه المرة، تحت ضوء الشمس، أكثر شدة من ظهورها في منفردة إدلب. وتناهى إلى سمع (إبراهيم) نبرة حزينة، من بين صدى أصواتها المتعددة الطبقات. (أينما ترحلت في ماضيك يمكنك العثور عليّ. اختر. كنت بجانبك في سرير الجنين، وبين العابك الطفولية قتياً حائراً بجسده، وبالألوان الأنثوية لبعض ملابسك. الآن عرفتني. لا تنسني أرجوك). خبا صوتها، وارتفع التوجيع البنفسجي عالياً في الهواء، ثم رفعت (أبراهة) يدها وضربت على الماندولين ضربة عنيفة، وخرجت صور من الماندولين مع ارتجاج صوتي لناقوس، وانفرد في الفراغ شريط صور من ماضي (إبراهيم)؛ قسم الذكور في محل ألعاب الأطفال في حيه، وهو يشتري أول كرة قدم، أول سيف مرصع بجواهر تضيء ع البطارية، أول كيس ألعاب جنود بلاستيكية باللون الأخضر، وسيارات سباق جبلية. راقبها إبراهيم صورة صورة تتلاحق من ماضيه. رفعت (أبراهة) شعرها مجدداً كشلال ماءٍ متداخلٍ، ونفخت من كفها، عطراً ماسياً بنفسجياً، ثبت تدافع الصور، ثم قالت: (في المنفردة اكتشفت صوتك الداخلي للمرة الأولى، والآن تكتشف اتساع ماضيك، وقوة الخيال. وهذه هي الأشياء هي كل ما تحتاج إليه لتحكي عني للناس يا إبراهيم).

الفصل الرابع:
زيارة الفندق الحمداني

وصل (إبراهيم) الفندق الحمداني منهكاً من خيالات رحلته. وأثناء عبوره للتلال الجرداء في تل عفت، كانت تعاوده بين الحين والآخر رؤية حلمية، أو أقصوصة من أقاصيص (بردة)، وقوة كلمات (بردة) عن الشمس، عن الصحراء، وألوان الكثبان الرملية. والأميرة ياقوت مرت في وهمه أيضاً. مرت بقوافل محملة بالحرير والعطور، كانت كل هذه الرؤى تعبر في ذهن إبراهيم، ومحاولاته اليائسة المتكررة لاستعادة صوت (أبراهة) خارج المعتقل انتهت بالفشل.

يطل الفندق الحمداني على شمس الأراضي الصفراء لقرية (سنخار). عند المدخل تجمع شبان مسلحون برشاشات سوداء على أعناقهم. بدوا لإبراهيم على قدر من الجدية، ثوار الحرية يرضخوا لنظام جديد، ولا صوت يعلو على السلاح، كما لو أن كلمات المحقق الشهير (المقدسي) تتكرر في أذنيه: (ستخلقون صنماً جديداً. ونحن لا نفعل إلا تأخير صنمكم). منعته تلال المدن المنسية من خلفه من العودة أدراجه إلى سراقب، وأوقف الذعر خطى الزائر الجديد عند باب الفندق. (أتيت للقاء شادي. شادي مارينا)، لفظها (إبراهيم) بنبرة ذكورية كأن قوته تبرر وجوده في هذا المكان النائي. (تقصد الآغا شادي)، صحح له مسلح فتي عند الباب، ثم ألقى الحارس بعقب سيجارته على التراب، استل لاسلكيا أسوداً من جيبه، واتصل بالقيادة: (إبراهيم السراقبي عند الباب. يريد لقاء الآغا شادي)، فأدخلوه.

(بإمكانك النوم قليلاً هنا)، قال الفتى المسلح، وأضاف: (طلب الآغا شادي بأن أرافقك بجولة صغيرة في غرف القصر. سآتي إليك عصر اليوم)، ثم خرج ليترك إبراهيم وحده. كان الخوف من المنفردة يهيمن على ذهنه، وبقي مستيقظاً في غرفة الطابق الثاني الحمدانية. وحين عاد الفتى المسلح أخبره بأن الآغا سيقابله لاحقاً. جالا معاً في غرف الطابق الأرضي للفندق أولاً، وكان الفتى المسلح يرى تماماً ما كان يراه الزائر الضيف؛ غرف تعذيب فيها نساء يتألمن عاريات، فوضى لأجساد نحيلة متدلية على ألواح خشبية كما في قصور الرومان، أعضاءهم الجنسية مهرشة من أثر الأحزمة الجلدية. وفي حجرات الطابق الثاني، كانت الشمس تبدأ بالغياب، ومجدداً أطلعه الفتى المسلح على نساء مرميات في غرف معتمة، غائبات عن الوعي من انتهاك الجسد. وبينما يعبر إبراهيم الممر الأخير إلى مكتب الآغا، سمع توسلات امرأة متكررة: (هيا اغتصبوني واتركوني. أريد ارجع ع البيت).

بدأت أصوات المتعة الوحشية القادمة من الممرات الخلفية تتلاشى قبل وصول (إبراهيم) بصحبة الفتى المسلح إلى غرفة الانتظار للقاء الآغا. دخل إبراهيم إلى مكان معتم وهدأت أصوات حفلات التعذيب الجماعي. كانت غرفة الآغا عبارة عن ممر أيضاً، متاهة من جدران متقاطعة، لا أحد بإمكانه رؤية آخر بثبات، يفصل بين كل عضاضة وأخرى جدار موازي. سمع إبراهيم صوت خطوات من خلفه، ثم لمح ظلاً ضخماً يمر على الأرضية. (أنهيت جولتك في الفندق. اعتقد ألا حاجة بك للقائي من بعد يا إبراهيم. ارحل بأسرع ما يمكن من هنا. ليس لأحدنا أن يحاكم الآخر)، ثم غاب الظل مجدداً. (فليتعذبوا كما عذبونا. ألم نتعذب نحن؟ لماذا عليهم الإنصات فقط لما نعيش في المعتقلات. كأننا حكاية. هذا هراء)، كانت جمل (شادي) تغيب في الصمت، كأنها تفكر نفسها، ثم يرجع صوته يكرر جملة جديدة. (فليتغيروا بالتعذيب كما غيرونا للأبد). كان إبراهيم يحاول أن ير وجه (شادي)، المتخف خلف الجدار العازل بينهما. كان الآغا يراوغ، يتحرك أحياناً في الظلال وهو يتكلم: (لسنا حكاية يا إبراهيم. والآلام الجسدية يلي عشناها بالمعتقل لا تهم أحداً. مين برغب بسماع آلام معتقل يكتشف أنثاه، سمها كما شئت.. صوتك الداخلي، أنثاك، أيا حكي فاضي؟) فسأل إبراهيم دون أن يتزحزح من كرسيه: (شفت شادية معناها؟)، وعاد الصمت. كانت النوافذ تعكس مغيب الشمس الأصفر على تلال (سنخار)، وأنارت حيزاً خفيفاً من نور مكتب الآغا. قال ظل (شادي) الضخم المتسلل على الحيطان:(هذا لا يعنيك يا إبراهيم. لا أنا ولا شادية نعنيك بشي. ارحل عني. لست مهرجاً متلك. آلامي ليست مجرد حكاية أرويها للناس). وامتلئ صوت (شادي) بحشرجة حزن، ثم هدأت خطوات ظلة المونوتنية: (كل أحاسيسي تحثني على الانتقام منهم)، أضاف (شادي) وهو ينحو إلى النحيب. بكى، وتفاجأ (إبراهيم) بالوحش يبكي بحرقة، فاجأه الآغا بالهشاشة، وحكى له صديقه (شادي) الحكاية.

(هذه المرة الوحيدة التي سأحكي لك. أتفهم؟ فقط لترى مقدار الألم، ولحظة الوحشية حين ظهرت شادية؟)، وصمت الآغا. ارتفع مرة أخرى صوت حزين قال بأنه قابل أنثاه للمرة الأولى تحت قوة كرسي تعذيب الكهرباء، (طلعتلي على معيار فولت 250، حلقت أمامي بلون دموي. شادية كانت وحشية يا صديقي)، وتفاجأ (إبراهيم)، لم يتوقع ألا تعطف (شادية) على ذكرها، أنت تنتقم من (شادي) لأجل ماضيه الذكوري بهذه القسوة. أغمض (إبراهيم) عينيه كأنه يتدفأ بذكرى حضور (أبراهة) الأخير، ثم قطع صوت الآغا المتخفي ذكراه: (كانت شادية بحضور وحشي)، الآن حرارة ظهورها الأخير يشعره دفيناً بداخله. بلا عار يستعيد صوتها في داخله. حين يرى أثر شادية على رجلها، كالمحب يشعر (إبراهيم) بقدرته على الصراخ، بأن أنثاه هو بداخله، في كل مكان، دون أن يصدقه أحد، دون أن تبدو مقنعة حتى بحكاية.

" في ظهورها الأخير كانت ناعمة على الأقل" ردد إبراهيم وحيداً. ، كان الفجر قد بدأ بالتدحرج إلى سجن (حلب)، وعينا إبراهيم لم تنم بعد. مر المجند (زهر) إلى الزنزانة وأخبره بأنهم اعتقلوا أخاه (صهيب). وطمأنه (زهر) بأنهم سيطلقون سراحه غداً: (سيطلقون سراحك غداً. إبراهيم حالما تخرج من هنا سافر إلى هنغارية)، طلب زهر بينما إبراهيم يفكر بصهيب. لم يتوقف تلك الليلة عن تخيل آلام أخيه الأصغر صهيب، وهو معلق بجسده النحيل على كرسي الكهرباء. أيخبر أخوه المعتقل (صهيب) عن قوة الخيال؟ عن كل ما مر به هو؟ بأنه سيلقى أنثاه منعزلاً في زنزانة قذرة؟ " على صهيب ألا يفزع من ماضيه أيضاً " كرر إبراهيم لنفسه، بينما الصمت يتسيد المعتقل. نهض من الزنزانة الجماعية ليلاً، وحاول التسلل إلى المرحاض. كانت المباول الجماعية أقل قذارة هنا في سجن (حلب)، من مباول سجن (إدلب). لم ينظر (إبراهيم) إلى المرآة المكسورة فوق المغسلة المعطلة، لكنه شعر بحضورها. عرف أن (أبراهة) حضرت داخل المرآة، أشعتها المبهرة أضاءت المكان باللون البنفسجي حتى الممر. لم ينظر حتى إلى عينيها اللتين تشبهان عينيه، كان حضوره(أبراهة) وغيابها سريعين، ونطقت بصوتها المتعدد الطبقات كلمات محدودة: (اكتشفت صوتك الداخلي. اكتشفت ماضيك. والآن، قوة الخيال، كل ما يلزم لتحكي للعالم عني يا إبراهيم)، وأضافت قبل أن تغيب للمرة الأخيرة: (لا تنس أنثاك يا إبراهيم. لا تنس (أبراهة). إن صوتي لن يعود حتى تخلو إليه). وغابت كوهم من اختلاق الحواس.

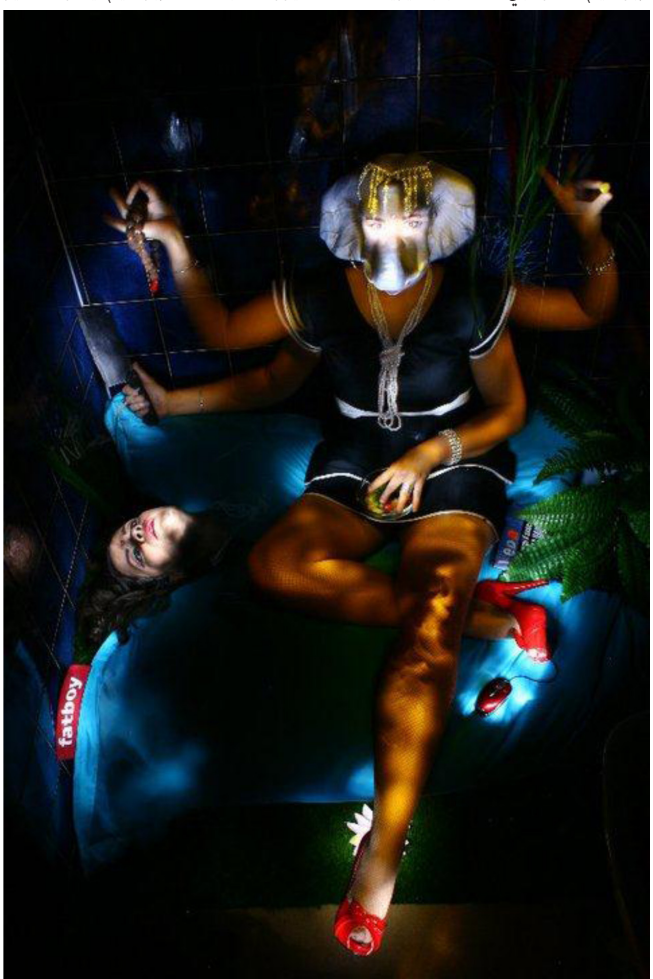

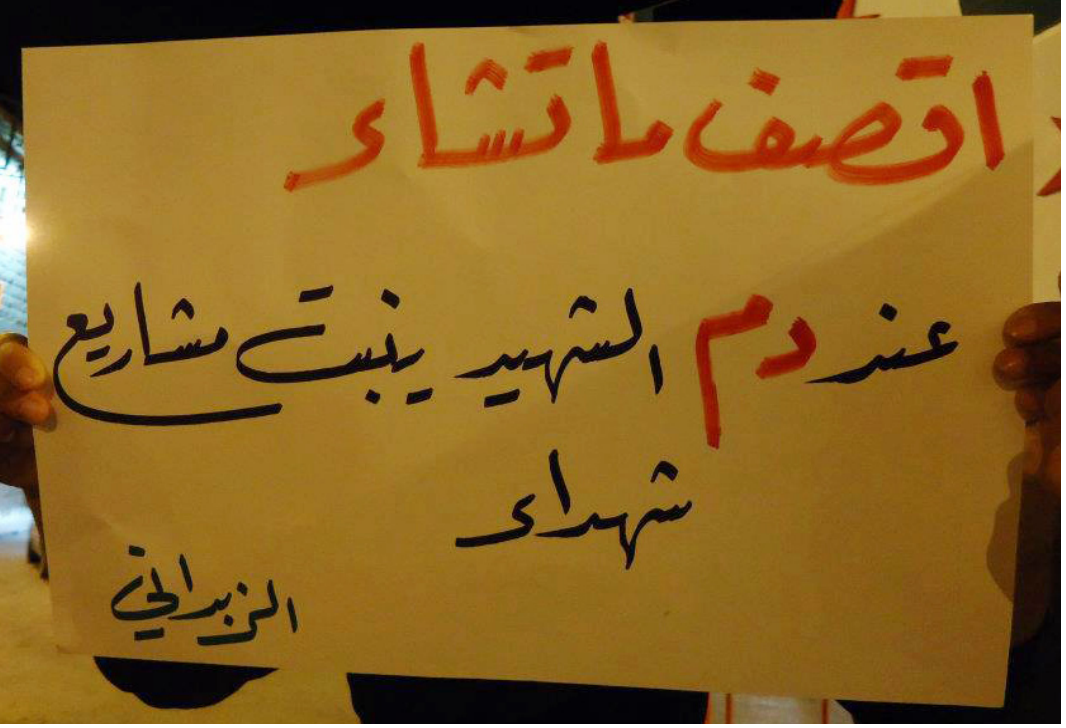

أضواء خافتة على ملامح القاتل

■ نبراس شحيد

في عبث المشاهد

في أحد أفلام الفيديو المسرّبة من ريف دمشق، على ما أذكر، نشاهد رجلاً أعزل يقف أمام جنديين مسلحين، يطلب منهما الإذن في عبور الشارع، فيسمحان له. ما إن يبدأ الرجل بالركض، حتى يطلق أحدهما النار عليه من الخلف ببساطة عدمية! ببساطة، يلتفت الجندي نحو زميله ضاحكاً، وببساطة، يهنئه الآخر على الإنجاز العظيم! وببساطة أيضاً، يشتدّ المشهد عبثيّةً، ويتقرّح الجرح حين تتجرّأ الكاميرا على تصوير ملامح القاتل: شابٌ عشريني، وسيم الوجه، نحيل الجسم، لا "شيطان"! ببساطة، هو شخصٌ مثلنا قد يحب كرة القدم والموسيقى. ببساطة، قد تكون له حبيبة يغازلها آخر النهار، وببساطة، قد يقرأ لها شعراً مسروقاً، وببساطة، قد يكون له أولاد يجلسون في حضنه، ليقصّ عليهم حكايات السندباد! ببساطة، هو رجلٌ "عاديٌ" يشبهنا!

في وجه الإنسان "العادي"

تتبّعت الفيلسوفة حنا آرندت محاكمة "مهندس المحرقة"، أدولف أيخمان، الذي كان وراء الكثير من جرائم الإبادة النازية خلال الحرب العالمية الثانية، لتستخلص من مشاهداتها مفاجأةً ثقيلة: أيخمان ليس بمجنون، ولا هو "ساديٌ" أو "منحرف"، ولا يتميز عن غيره من بني وطنه، على الصعيدين النفسي والاجتماعي، بشيءٍ يُذكر! هو ببساطة مرعبة إنسانٌ "عاديٌ"! هو ببساطة مرعبة، كما يقول، "رجل يقوم بواجبه في تنفيذ الأوامر". هو ببساطة مرعبة، رجل "عاديٌ" تتجلى من خلاله "عاديّة الشر"! ("أيخمان في أورشليم"، 1963). بالطبع، لا يُقصد بالعاديّة هنا تتفيه الجريمة، أو الاستخفاف بفداحة نتائجها، بل يُراد من المصطلح التعبير فلسفيّاً عن إمكان التوحّش الكامن في كل شخص فينا، حين يترعرع في ظل أنظمةٍ همجية شمولية تُخضع شعوبها، فتسحق الفرد مشوّهة الإنسان فيه، لتضيع "الأنا" في ضجيج "النحن". هنا تحديداً، يمكن الإنسان "العادي"، في سوريا وفي غيرها من البلدان، وأكثر من أي وقت مضى، أن يقتل من أجل القتل، لأنه فقد الكثير من فردانيته، فصار أداةً مجيّشة في يد السلطة!

في امّحاء الوجه

تَرافقَ تدمير الحياة السياسية، الذي اعتمده النظام في بلدنا، بتشويه المجتمع أخلاقياً. فعندما صارت المواطَنة خوفاً، والمواطن ببغاء، والحياة اليومية براطيل ومحسوبيات، وعندما احتلّ الجواسيس المدينة كجراد المجاعات، صار الإنسان، كما يشير الى ذلك ياسين الحاج صالح، غير قادر على التطابق مع ذاته، "فلا يستطيع أي سوريّ أن يكون أخلاقياً في المجال العام" (بل) ينبغي أن يكون له وجهان غير متطابقين، خاصٌ يشبهه... وعامٌ حميد يتجنب به الأخطار"، ليردّد ما تريد السلطة منه أن يردد ("النهار" 2011/12/3)!

إلاّ أن التشوّه الأخلاقي بلغ ذروةً جديدة، تجاوز فيها حد الاغتراب عن الوجه الحقيقي، ليصير فيها الكثير من القتلة غير قادرين على التمييز بين الوجهين، فيحل العام مكان الخاص، وخطاب السلطة اللاأخلاقي بدلاً من صوت "الضمير"، وعقلية النظام محل فردانية الشخص، فيغرق أناسٌ عاديون في مستنقعات القتل والمجازر، ويتباهى أناسٌ عاديون، في هتافاتهم "الوطنية" كما في "تشبيحهم" البطولي، بأنهم قتلة!

في مساحات الامّحاء

لكن البنية هذه لا تلقي بظلالها فقط على مواضع النظام، بل على مطارح مهمّة من الثورة أيضاً، فما يرشح عن تجاوزات أخلاقية يرتكبها بعض "الثوار" غير مقبول! يتباهى أحد المتطرّفين مثلاً (في قصة اشتهرت بين ثوار حمص) أمام أصحابه ببطولاته حين انتزع اعترافات شبّيح ألقي القبض عليه: "لم يعترف، فانهلتُ عليه ضرباً، لكنه أصرّ على الصمت، فأخذتُ السكين وقطعتُ أذنه!". سواءٌ أكانت القصة التي يرويها الرجل صحيحة أم لا، يكفي التفاخر بها، أمام تصفيق المشاهدين، أن يلقي ضوءاً جديداً على وجهٍ آخر من التشوّه الأخلاقي. ليس المسيطر على الفرد هنا صوت النظام بل حالة وحشيّة أخرى تستولي على إنسانيتنا تحت ستار "الواجب" أو "حق الانتقام"! بالتأكيد، لا ترسم القصة هذه حالةً عامة، فأمثلة التضامن والوعي الشعبي اللذين يقاومان التطرف أو الانحدار الأخلاقي كثيرة، لكن القصة هذه (وما شابهها من قصص) تشير أيضاً إلى إمكان أن يستحوذ علينا، أياً يكن انتماؤنا، صوتٌ "غرائزيّ" جمعي، إيديولوجي، وأحياناً ديني متشدد، ليبرّر ما لا يمكن تبريره. هنا، تشير تجاوزات بعض أطراف المعارضة أيضاً التي لا يمكن تجريدها من أسباب حدوثها (وحشية النظام في الدرجة الأولى)، ولا يمكن، في المقابل، التغاضي عنها، بل تقع على عاتقنا جميعاً مسؤولية مجابهتها، إلى إمكان الانزلاق في شموليّة "الشر" المجتمعية، وفيها يكفي عاديّة القتل، حتى تستشري، أن يسحق الصوت الجمعيّ، برغباته التسلطية أو الانتقامية، فردانية الوجه الشخصي، ليصير الإنسان "العادي" سلاحاً مشحوذاً قابلاً للاستعمال. لا يمكن الفرد، مهما سبق، أن يكون مصدراً مطلقاً لـ"الشر"، فـ"الشر" بنية اجتماعية، اقتصادية، سياسية، ثقافية، لغوية، شوّهت الإنسان في وعيه وفي تصرّفه، من دون أن يلغي ذلك مسؤوليّة الفرد الكاملة عمّا يقوم به من أعمال. هكذا، صار في إمكان الإنسان "العادي"، على ما أعتقد، أن يصير تجلياً لما يتجاوزه من بنى معقّدة جعلت من "بساطة" القتل للقتل أمراً عاديّاً. هكذا أيضاً صار لا بد للثورة لاحقاً من انتاج ثقافة مواطنة جديدة تعمل على تفكيك شيءٍ من هذه البنى، مولية الفرد فينا ما يستحق من احترام.

نشر أيضاً في ملحق النهار اللبنانية 2012/6/30

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (14238)

دمشق: 343
ريف دمشق: 1529
حمص: 5179
حلب: 566
حماه: 1714
اللاذقية: 319
طرطوس: 35
درعا: 1501
دير الزور: 701
الحسكة: 97
القنيطرة: 22
الرقة: 55
ادلب: 2168
السويداء: 9

1219 عدد العسكريين
13019 عدد المدنيين
665 عدد الإناث
361 عدد الأطفال الإناث
964 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 30 / 6 / 2012
http://vdc-sy.or